كتاب "تاريخ الفَتَّاش" وأهميته في التأريخ للحياة السياسية لمملكة غَانَة الإسلامية

د. بطل شعبان محمد غرياني

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة

ملخص:

يمثل كتاب تاريخ الفتاش المنسوب لمَحْمُود كَعْتِ التُّنْبُكْتِي، أحد مصدرين تاريخيين اثنين فقط ألفهما أبناء مملكة صُنغي الإسلامية، فلم يصل إلينا من مصادر هذه المملكة تحديدًا، وبلاد السودان الغربي بوجهٍ عام سوى كتاب تاريخ الفتاش، وكتاب "ملوك السودان أهل سنغي" الذي ألفه عبد الرحمن السعيدي. ومن ثم يحتل تاريخ الفتاش قيمة كبرى وأهمية بالغة لدى كل المهمتين بتاريخ ممالك بلاد السودان الغربي خلال العصر الإسلامي. وتسعى هذه الدراسة للبحث في إشكالية مؤلف هذا الكتاب؛ هل ألفه مؤلف واحد، أم أكثر من مؤلف يحملون نفس الاسم "محمود كعت"؟ ثم استكشاف أهمية هاذا المصدر التاريخي في التأريخ لمملكة غانة[١] الإسلامية التي لم يعاصرها صاحب الفتاش، لكنه اعتمد على الروايات الشفهية المتداولة، ولهذا فسوف تقارن هذه الدراسة بين الروايات الشفهية الواردة في تاريخ الفتاش حول مملكة غانة، وتلك الروايات التي وردت في المصادر الإسلامية ولا سيما المغربية حول تاريخ هذه المملكة، وخاصة الروايات المتعلقة بالحياة السياسية.

الكلمات الدالة: تاريخ الفتاش، محمود كعت، مملكة غانة، السودان الغربي، الحياة السياسية.

[١] انظر خريطة مملكة غانة وحدودها بملاحق هذا البحث.

Tarikh Al-Fattash, and Its importance in the dating of political life in the Islamic Kingdom of Ghana

Abstract:

The "Tarikh al-Fattash" attributed to Mahmoud Ka'at al-Tinbukti, represents one of only two historical sources written by the historians of the Islamic Kingdom of Songhay. Only "Tarikh al-Fattash" and "Muluk Alsudan Ahl Songhay" has written by Abd al-Rahman al-Sa'idi, have reached us from the sources of this kingdom and Western Sudan in general. Hence, the history of Al-Fattash occupies great value and great importance for both researchers in the history of the kingdoms of Western Sudan during the Islamic era. This study seeks to investigate the problem of the author of "Tarikh al-Fattash": Was it written by one author, or by more than one author with the same name, "Mahmoud Kaat", and then explores the importance of this historical source in the history of the Islamic Kingdom of Ghana, which the author of Al-Fatash did not contemporaneize, but relied on oral narrations. Therefore, this study will compare the oral narratives contained in the history of the Fattash about the Kingdom of Ghana, and those narratives contained in Islamic sources, especially Maghribian ones, about the history of this kingdom, especially the narratives related to political life.

Key words: Tarikh al-Fattash, Mahmoud Ka'at, Ghana Kingdom, Western Sudan, Political Life.

مقدمة:

يحتل كتاب "**تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار**"، المنسوب عند أغلب الباحثين والمؤرخين لمَحْمُود كَعْتِ التُّنْبُكْتِي (المتوفى عام ١٠٠٢هـ/١٥٩٣م) قيمة كبرى وأهمية بالغة لدى كل المهمتين بتاريخ ممالك بلاد السودان الغربي خلال العصر الإسلامي. وإذا كان هذا المصدر المهم قد نُسب خطأً لمؤرخٍ واحد وهو محمود كعت المذكور، فإن المدقق في أحداث هذا الكتاب ومروياته التاريخية يجد أنه كتب على أيدي ثلاثة مؤلفين من أسرة آل كعت التي اشتهرت وذاع صيتها في عصر مملكة صُنغي[١] الإسلامية (٨٦٨-١٠٠٠هـ/١٤٦٤-١٥٩١م)، وهم: محمود كعت الأول (الجد) (توفي خلال الثلث الأول من القرن العاشر للهجرة)، وحفيده، محمود كعت الثاني (المتوفى عام ١٠٠٢هـ/١٥٩٣م) والذي نسب أغلب المؤرخين الكتاب إليه، ومحمود كعت الثالث (كان حيًا عام ١٠٧٥هـ/١٦٦٤م)، وهو سبط الثاني، حيث ضم هذا الكتاب أخبارًا تمتد حتى هذا العام الأخير[٢]، أي بعد وفاة المؤلف الأول بفارق زمني يمتد لخمسة وسبعين عامًا.

ومما يعطي لهذا الكتاب أهمية كبرى أن مؤلفيه الثلاثة كانوا معاصرين لكثير من الأحداث التي دونوها، كما إنه يسرد تاريخ الملوك والممالك الإسلامية السودانية غانة، ومالي[٣] وصُنغي، التي نشأت وتطورت وازدهرت عبر فترة زمنية طويلة تمتد من القرن الأول حتى نهاية القرن العاشر للهجرة.

---

[١] أطلق اسم صنغي على ذلك الجزء من وادي النيجر بين بوريم وساي، وعلى الشعب الذي سكن هذه المنطقة، وعلى المملكة التي أقامها هذا الشعب، حيث نجد أن كلاً من محمود كعت وعبد الرحمن السعيدي أطلقوا كلمة "سنغي، وسغي" على جد شعب صنغي وهو "سُنْغَيْ بن تَرَاسْ"، كما أطلقوها على شعب صنغي نفسه، وعلى المملكة التي قامت على أنقاض مملكة مالي، انظر: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، دراسة وتعليق آدم بمبا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠١٤، ص ١١١؛ ملوك السودان أهل سنغي وقصصهم وأخبارهم وغزواتهم وذكر تنبكت ونشأتها ومن ملكها من الملوك، تحقيق هوداس وبنوا، مطبعة أنجي، باريس، ١٨٩٨، ص ٢، ٦- ٧.

[٢] انظر، تاريخ الفتاش، ص١٧٦.

[٣] نشأت مملكة مالي في ظل تلك الظروف التي أغارت فيها قبائل الصوصو الوثنية على مملكة غانة وأسقطتها، ثم توجه الصوصو نحو قبائل الماندنجو لغزوهم في معاقلهم، من ثم كان على الماندنجو أن يواجهوا تسلط الصوصو، ونتج عن ذلك تأسيسهم لمملكة مالي، وكان أول ملوكها سندياتا كيتا (٦٢٨- ٦٥٣هـ/ ١٢٣٠- ١٢٥٥م) الذي حارب قبائل الصوصو وانتصر عليها، فكان هو المؤسس الحقيقي للمملكة. انظر ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، طبعة بولاق، مصر، ١٨٦٧، ج٦، ص٢٠٠- ٢٠٢.

ويرجع اختيار مملكة غانة[١] كنموذج لهذه الدراسة لعدة اعتبارات؛ منها ندرة ما كُتب حول تاريخ هذه المملكة في المصادر الإسلامية بشكلٍ عام. وباستثناء ما أورده كل من البكري (المتوفى عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) في القرن الخامس للهجرة، والإدريسي (المتوفى عام٥٦٠هـ/١١٦٤م) في القرن السادس للهجرة، فإن جل المعلومات التي أوردتها المصادر الإسلامية، قد اقتصرت على وصف غانة بأنها مصدر للذهب الوفير، وادعت أنه "ينبت في غانة كما ينبت الجزر"[٢]. وأخيرًا فإنه رغم البعد الزماني الطويل بين انتهاء النفوذ السياسي لمملكة غانة في القرن السابع للهجرة، وتأليف تاريخ الفتاش خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة، فإن هذا المصدر يعد أقدم المصادر التاريخية السودانية التي أرخت لممالك السودان الغربي –ومنها مملكة غانة– ومن ثم فإنه يقربنا من وجهة نظر السودانيين أنفسهم في ماضيهم وكيفية تصورهم لتاريخهم، وإن كانت رؤية الفتاش حسبما يرى الأستاذ الدكتور أحمد الشكري[٣] مقتضبة جدًا حول تاريخ مملكتي غانة ومالي، مقابل وجود كم هائل من المعلومات الواردة بالكتاب والتي تغطي الفترة من منتصف القرن التاسع حتى منتصف القرن الحادي عشر للهجرة.

وبالنسبة **لمنهج الدراسة** فسوف تعتمد على منهج البحث التاريخي بأدواته؛ من وصف، وتحليل، واستنباط، ومقارنة، إذ من الضروري مقارنة ما ورد عن تاريخ مملكة غانة في تاريخ الفتاش بالأخبار المتعلقة بهذه المملكة في المصادر الإسلامية الأخرى، الجغرافية، والتاريخية، وكتب الرحلات، ومدى اختلاف روايات

---

[١] ليست مملكة غانة هي دولة غانا الحديثة التي كانت تسمى ساحل الذهب، ثم تسمت باسم غانا تيمنًا؛ أما موقع غانة القديمة فهو محل خلاف، وقد ورد في المصادر الإسلامية أنها مدينتان، انظر البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص ١٧٥؛ الإدريسي: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، تحقيق روبيناتشى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢، ج١، ص ١٧، ١٨. وتقع أطلال غانة اليوم بالقرب من الحدود الجنوبية لجمهورية موريتانيا، وضمن أراضي جمهورية مالي، وهي على طريق القوافل الغربي القادم من مراكش. والمكان الصحيح يبعد عن مدينة تنبكت بمسيرة بضعة أيام إلى الجنوب الغربي منها، وعلى بعد نحو مائتي ميل شمالي باماكو عاصمة مالي حاليًا. انظر إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٣٠–٣٣.

[٢] انظر، الهمذاني: كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦، ص١٣٨؛ المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، طبعة ١٨٦٧، ص٣٩؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، تحرير وتعليق وتقديم حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٣، ص٢٠.

[٣] الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩، ص٣٣.

الفتاش عن تلك الروايات الواردة في هذه المصـــادر، ومدى اتفاقه معها؛ وكذلك مقارنة بعض الأخبار التي أوردها الفتاش بما كشفت عنه تقارير الحفائر الآثارية التي أجريت مؤخرًا في بعض المواقع بغربي أفريقيا.

أما بالنسـبة **للدراسـات السـابقة**، فإن الدراسـات التي اعتمدت على كتاب تاريخ الفتاش لم تتناول الحياة السياسية لمملكة غانة، لكنها تناولت موضوعات شتى اعتمادًا على هذا الكتاب، منها دراسة الأستاذ الدكتور **هارون المهدي ميغا**، بعنوان: "**من الذين يســـمون محمود كعت ومن منهم مؤلف تاريخ الفتاش**"، مجلة قراءات أفريقية، العدد ٢٤، ٢٠١٥، وهذه الدراســة شــككت في أن يكون تاريخ الفتاش قد كتبه مؤلف واحد، وهناك أيضًا دراسة الأستاذ الدكتور **أبو وردة عبد الوهاب السعدني**، وهي بعنوان "**سنغي الإسلامية من خلال كتاب تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**"، مجلة كلية اللغة العربية بأســـيوط، جامعة الأزهر، العدد١٤، ١٩٩٤، وهذه الدراسة ترصد أحوال مملكة صُنغي آخر الممالك الإسلامية التي قامت في بلاد السودان الغربي، من خلال رؤية مؤلف تاريخ الفتاش. كما توجد دراسة أخرى للدكتور **مطير سعد غيث**، عنوانها: **من مصـــادر تاريخ بلاد الســـودان الغربي: تاريخ الفتاش نموذجًا**، مجلة جامعة الزيتونة، الســـنة الرابعة، العدد ١٥، ٢٠١٥، فهو يعرض لمصـــادر دراســـة تاريخ بلاد الســـودان الغربي عامة، وأهمية كتاب تاريخ الفتاش، أيضًا دراسة الدكتور **خالد علي عبد القادر**، وهي بعنوان "**مصادر تاريخ السودان الغربي بين التدوين والرواية الشـفهية في العصـر الوسـيط**"، مجلة المنتدى الأكاديمي، العدد٣، يناير ٢٠١٨ وهي تقدم دراسـة نقدية لكل المصـادر السـودانية بما في ذلك تاريخ الفتاش واعتماد هذه المصـادر على الرواية الشـفهية بشـكلٍ كبير؛ مما أثر على مصـداقيتها. وأخيرًا هناك دراســة **محمد دوكوري**، وعنوانها: **التزوير في مصــادر تاريخ بلاد الســـودان: نبوءة في تاريخ الفتاش نموذجًا**، دورية كان التاريخية، الســـنة١٣، العدد ٤٨، يونيو ٢٠٢٠. وهذه الدراسة تعرض لنبوءة أحمدو لوبو[١] التي وردت في تاريخ الفتاش، وتأثيرها على مصداقيته.

أما الدراسة التي نحن بصددها فتتناول بالنقد والتحليل ما أورده تاريخ الفتاش عن مملكة غانة الإسلامية، تلك المملكة التي لم يعاصـرها صـاحب الكتاب، لكنه جمع الروايات الشـفهية، واطلع على بعض المخطوطات والوثائق المحلية السودانية، ودون بعض الأخبار عن مملكة غانة، وجاء أغلب حديثه حول الأحوال السياسية في هذه المملكة، ومن ثم فسـوف تسـعى هذه الدراسـة للحديث عن هوية مؤلف الكتاب ومدى أهمية مروياته بالنســبة لتاريخ مملكة غانة، ومنهجه في التأريخ لهذه المملكة، ثم الحديث عما قدمه هذا الكتاب بخصـــوص

[١] سيتم الحديث عن هذه النبوءة، وإقحامها في كتاب تاريخ الفتاش في العنصر ثانيًا من هذا البحث.

انتشار الإسلام بتلك المملكة، ثم حديثه عن نشأة المملكة وأوضاعها السياسية في ضوء ما كتبه صاحب الفتاش، وأخيرًا عرض النظم الإدارية والعسكرية في غانة في ضوء كتاب تاريخ الفتاش.

وتطرح هذه الدراسة عددًا من التساؤلات، تسعى للإجابة عنها، وهي: هل محمود كعت المتوفى عام (١٠٠٢هـ/١٥٩٣م) هو مؤلف تاريخ الفتاش كما اشتهر عند كثير من الباحثين؟ وإذا كانت الإجابة بنعم، فكيف نفسر امتداد أحداث الكتاب ومروياته التاريخية حتى عام ١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م؟ وهل امتداد هذه الأحداث يعني أن يد التحريف طالت هذا المصدر المهم أم أن الكتاب تألف على أيدي عدد من المؤلفين الذين حملوا نفس الاسم "محمود كعت"؟ وهل نبوءة أحمدو لوبو تعني أن مرويات تاريخ الفتاش فقدت أهميتها بالنسبة للتدوين التاريخي؟ ومن ثم نتساءل عن مدى قيمة مرويات تاريخ الفتاش بالنسبة للتاريخ السياسي لمملكة غانة؟ ويرتبط بهذا السؤال سؤال آخر مهم، ألا وهو: ما هو المنهج الذي اعتمده مؤلف تاريخ الفتاش في تأريخه لمملكة غانة، وما هي المصادر التي اعتمد عليها؟ وهل اطلع على المصادر المغربية التي أرخت لهذه المملكة؟ وما الذي قدمه هذا المصدر السوداني المهم حول انتشار الإسلام في غانة باعتبارها أقدم الممالك الإسلامية في السودان الغربي؟ وكيف يمكن الحديث عن الأوضاع السياسية لغانة من نشأة وتطور سياسي، ونظم إدارية وعسكرية في ضوء مرويات تاريخ الفتاش؟

وللإجابة على هذه التساؤلات، فسوف تندرج مناقشة هذا الموضوع تحت العناصر التالية:

تمهيد– التعريف بمملكة غانة الإسلامية.

أولًا– كتاب تاريخ الفتاش، وقيمة مروياته بالنسبة لتاريخ مملكة غانة.

ثانيًا– منهج الفتاش ومصادره في التأريخ لمملكة غانة.

ثالثًا– انتشار الإسلام في مملكة غانة في ضوء كتاب تاريخ الفتاش.

رابعًا– نشأة مملكة غانة وأوضاعها السياسية في ضوء كتاب تاريخ الفتاش.

خامسًا– النظم الإدارية والعسكرية في مملكة غانة في ضوء كتاب تاريخ الفتاش.

سادسًا– مملكة غانة في تاريخ الفتاش، وقصور الرؤية التاريخية.

تمهيد- التعريف بمملكة غانة الإسلامية:

تعد مملكة غانة من أهم الممالك الإسلامية التي قامت في الإقليم الذي اتفق المؤرخون المحدثون[١] على تسميته بالسودان الغربي (إقليم غربي أفريقيا حاليًا)، هذا الإقليم الذي أطلق عليه بعض الجغرافيين والمؤرخين المسلمين "ببلاد التكرور"[٢]؛ وهذا خطأ؛ لأن التكرور تعد إمارة واحدة من ضمن إمارات وممالك بلاد السودان الغربي[٣]، وتقع في الجزء الجنوبي الغربي من تلك البلاد. وكانت التكرور خاضعةً لمملكة غانة ثم خضعت لمملكة مالي، وبهذا فإن الجغرافيين والمؤرخين المسلمين كانوا يقصدون ببلاد التكرور إقليم السودان الغربي ككل، والذي يشمل المنطقة التي تقع شمال خط الاستواء وجنوب الصحراء الكبرى بين خطي عرض ١١ْ و١٧ْ شمالاً، والممتدة بين بحر الظلمات (المحيط الأطلنطي) غربًا، وبحيرة كوري (بحيرة تشاد) شرقًا[٤]. وتمثل هذه المنطقة المجال الموازي لبلاد المغرب وتفصل بينهما الصحراء الكبرى. وتبلغ هذه المنطقة في مساحتها نحو سبعة ملايين كيلو متر مربع[٥].

---

[١] حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٩٨، ص١٣٧؛ عبد القادر زبادية: مملكة سنغاى فى عهد الأسيقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،١٩٧٠م، ص١٥؛ الشيخ الأمين عوض الله: العلاقات بين المغرب والسودان الغربى فى عهد السلطنتين الإسلاميتين مالى وصنغى، دار المجمع العلمى، جدة، ١٩٧٩، ص٤١.

[٢] القزويني: مصدر سابق، ص٢٨؛ ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٢٠٠.

[٣] انظر العمري: مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وآخرين، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي، ٢٠٠١، ج ٤، ص٥٩؛ محمد بلو: إنفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور، تحقيق بهيجة الشاذلى، منشورات معهد الدراسات الأفريقية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٩٦م، ص٤٧.

وهناك مسميات أخرى للتكرور، منها تكارين (Takarin)، وتكارنة (Takarna)، ومفردها تكروني. ومن المرجح أن اسم التكرور كان مصطلحًا شائعًا في مصر والحرمين والحبشة، ولا يعرفه أحد من أهل السودان الغربي أصلًا وإنما يتلقونه من الحجاج الذين سمعوه بالحرمين ومصر. ويختلف اسم التكرور عند ابن سعيد (المتوفى عام ٦٧٣هـ/١٢٧٥م) ليشمل كل منطقة السودان الغربي، وينتشر الاسم في المشرق ليشمل نفس المعنى، للمزيد يرجع إلى: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٠، ص ٩١.

Alnaqar, Umar: Takrur the history of a name, The Journal of African History,Vol.10, No.3(1969), p.365.

[٤] ابن سعيد: مصدر سابق، ص ١٠؛ حسين مراد: الصلات بين المغرب والسودان الغربي (خلال القرن ٢-٦هـ /٨-١٢م) جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا ، الإسلام في أفريقيا ، ٢٠٠٦، الكتاب الحادي عشر، ص ٣٧٣.

[5] Hunwick, John: A Region of the mind: medieval Arab views of African geography and Ethnography and their legacy, Sudanic Africa, No.16, (2005), pp.111-112.

إبراهيم أحمد العدوي: ابن بطوطة في العالم الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٤، ص ١٤٢.

وقد شهدت هذه المنطقة قيام ثلاث ممالك سودانية هي مملكة غانة موضوع هذه الدراسة، ثم تلتها مملكة مالي، وأخيرًا مملكة صنغي التي تعد أعظم هذه الممالك الثلاث[١]. وكان العنصر القبلي المسيطر مكونًا من قبائل السوننك[٢]، والبمبارا[٣]، والماندنجو[٤] والتوكولور[٥] والولوف[٦]، وقبيلة الصنغي[٧] في الشرق[٨].

---

[١] جميلة التكيتك: مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسكيا محمد الكبير، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، ١٩٩٨، ص ٢٦.

[٢] الحاج موسى أحمد كامرة: زهور البساتين في تاريخ السوادين مدونة شعوب غرب أفريقيا في التاريخ والأنساب والأنثروبولوجيا، تحقيق ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت،٢٠١٠، ص٣٨، ٣٩؛ مسعود عمر علي: تأثير الشمال الأفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي فيما بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ط١، ٢٠٠٣، ص ٢٨.

[٣] تعد قبائل البمبارا أحد فروع قبائل الماندنجو التي عملت بالزراعة المستقرة، وكان فلاحو البمبارا يقطنون أودية نهر النيجر ونهر باني Bani حتى بحيرة ديبو Debo، انظر:

Delafosse, Maurice: Haut-Sénégal-Niger (Soudan français), Larose, Paris, 1912, Vol.1, P. 239.

[٤] يطلق على الماندنجو أيضًا اسم "الماندي"، وكانوا يعيشون في حيز يمتد بين مجالي قبائل التكرور، والصنغي، أي بين نهر النيجر شرقًا وأعالي نهر السنغال غربًا ومنطقة الغابات جنوبًا، انظر محمود كعت: مصدر سابق، ص ١٥٤؛ الحاج موسى أحمد كامرة: مرجع سابق، ص ٣٨، ٣٩.

[٥] كانت مملكة التكرور الواقعة غرب غانة موطنًا لجماعة التوكولور Tucolor أو التكارير الذين كانوا تجارًا بارعين على غرار السوننك في غانة. انظر البكري: مصدر سابق، ص ١٧٢، ١٧٣؛ بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة الهادي أبو لقمة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٨، ص ١٥٣.

[٦] سكن الولوف المملكة التي سميت باسمهم، وهي مملكة الجولوف، كانت هذه المملكة معاصرة لمملكة مالي الإسلامية، وقد خضعت لمملكة مالي في عهد منسا موسى، ثم نجحت في الانفصال عن سلطان مالي عام ٧٦١هـ/١٣٦٠م أثناء أزمة تولي السلطة التي أعقبت وفاة منسا سليمان، انظر:

Hunwick, J: Timbuktu and the Songhay Empire Al- Sadis Tarikh Alsudan Down to 1613, Brill 2003, PP. 45-46.

[٧] تعد قبيلة الصنغي من أهم القبائل السودانية، وقد استوطنت هذه القبيلة في قلب بلاد السودان الغربي حول حوض نهر النيجر الأوسط عند منطقة ثنية نهر النيجر، وانتشرت في المنطقة الواقعة بين مدن جني وتنبكت وجاو، والتي تميزت بسهولها الخضراء التي اعتمد عليها الرعاة في تغذية ماشيتهم، وقد احترف الصنغي صيد الأسماك وزراعة الدخن، انظر الحاج موسى كامرة: مرجع سابق، ص ٣٧؛ بطل شعبان محمد غرياني: الحرب والمجتمع في السودان الغربي (٧٢٦-١٠٠٠هـ / ١٣٢٥-١٥٩١م)، قراءات أفريقية، سلسلة الرسائل الجامعية، الإصدار الرابع، ٢٠١٥، ص٣١.

[٨] انظر كعت: مصدر سابق، ص ١١١، ١١٢؛ الحاج موسى كامرة: مرجع سابق، ص ٣٧؛ جوزيف كي زيربو: تاريخ أفريقيا السوداء، ترجمة عقيل الشيخ حسين، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، ٢٠٠١، ص ١٨٠.

وتعد مملكة غانة من أقدم الكيانات السياسية التى أُسست فى بلاد السودان الغربى، إلا أن المعلومات عنها، لاسيما بداياتها، وملوكها الأوائل قليلة، وأحاطها الكثير من الغموض. وقد نجحت غانة في فرض نفوذها بالقوة على كثيرٍ من الممالك والإمارات المجاورة لها ببلاد السودان؛ غير أن سطوتها وقوتها التي فرضتها عن طريق الغزو والحرب، كانت تحمل في طياتها عوامل الانهيار والضعف، نتيجة تطلع بعض الممالك والقبائل المجاورة للمملكة إلى فرض هيمنتها ونفوذها بالأسلوب نفسه على حساب غانة، ومنها مملكة التكرور التي تحدت سلطة غانة، كذلك استطاعت قبائل الصوصو[١] الوثنية أن تغزو مملكة غانة وتسقطها[٢]. وسوف نوضح هذا بشيء من التفصيل عند الحديث عن الأحوال السياسية لغانة.

أولًا- كتاب تاريخ الفتاش، وقيمة مروياته بالنسبة لتاريخ مملكة غانة:

من المتعارف عليه بين كثير من المتخصصين في تاريخ ممالك السودان الغربي في العصر الإسلامي أن مؤلف كتاب تاريخ الفتاش هو محمود كعت التنبكتي (المتوفى عام ١٠٠٢هـ/١٥٩٣م)؛ لكن الاطلاع على هذا الكتاب يطرح أمامنا إشكاليتين حول مؤلف هذا الكتاب؛ أولهما أن هذا الكتاب دُسَّت فيه معلومة تاريخية تالية على تاريخ تأليفه بعدد من القرون، وهذه المعلومة تتعلق بالحديث عن عملية الجهاد الإسلامي في غربي أفريقيا والتي قادها المُصلح الفلانيّ -نسبة إلى قبائل الفُلَّان بغربي أفريقيا- الشيخ أحمدو لوبو حاكم إمبراطورية ماسنة الإسلامية (١٢٣٣-١٢٦٠هـ/١٨١٨- ١٨٤٥م)، حيث يذكر صاحب "الفتاش" أن أسكيا الحاج محمد الأول ملك صُنغي (٨٩٨-٩٣٥هـ/١٤٩٣- ١٥٢٩م) حينما مر بمصر أثناء رحلة حجه عام ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م التقى بالإمام جلال الدين السيوطي (المتوفى عام ٩١١هـ/١٥٠٥م) الذي أخبر هذا الأسكيا بأن الخلفاء الذين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم سيأتون بعده، عددهم اثنا عشر خليفة، منهم اثنين

---

[١] يمثل الصوصو إحدى عشائر الماندنجو، وتذهب الروايات إلى أن أنهم تخصصوا في صناعة الحديد، وقد أبدت هذه العشيرة من الحدادين تصميمًا قويًا على صد الإسلام؛ ولذلك فرضوا نفوذهم على أقرانهم ممن دخل في الإسلام من الماندنجو، انظر ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص ٢٠٠- ٢٠٢؛ جبريل نياني: مالي والتوسع الثاني للماندانغ، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الرابع: أفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، اليونسكو، ١٩٨٨، ص ١٣٧، ١٣٨؛ سوزي أباظة: الحدادون في السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنغي (٦٢٨-١٠٠٠هـ/ ١٢٣٠-١٥٩١م)، مجلة الدراسات الأفريقية، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، العدد ٣٣، ٢٠١١، ص ٣٦.

[٢] ابن سعيد: بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان كرميظ خيديس، معهد مولاي الحسن، تطوان، ١٩٥٨، ص ٢٤-٢٥؛ ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٢٠٠.

بأرض التكرور وأن الأسكيا محمد المذكور أحدهما، أما الثاني فاسمه أحمد –يقصد الشيخ أحمدو لوبو– والذي سيظهر فيما بعد في جزائر سِبِرَ مَاسِنَة[١] في القرن الثالث عشر للهجرة/ التاسع عشر للميلاد، وأنه سيتعرض إلى نكران وجحود من أهل عصره، وسينتصر على جميع مخالفيه[٢]. فكيف يمكن لمحمود كعت المتوفى في مطلع القرن الحادي عشر للهجرة أن يورد معلومة كهذه تتعلق بالقرن الثالث عشر للهجرة؟

وثاني هذه الإشكاليات تتعلق بالشخصيات التي أسهمت في استكمال تأليف تاريخ الفتاش، فالمرجح أن المؤلف الأول الفقيه محمود كعت الجد قد توفي خلال منتصف عهد الأسكيا محمد الأول (أي في الثلث الأول من القرن العاشر للهجرة) وفقًا لاستنتاجات د. آدم بمبا بعد مراجعة كل النصوص الواردة في تاريخ الفتاش[٣]، وبما أن الأحداث الواردة في الكتاب تمتد إلى عام (١٠٧٥هـ)[٤]، فهذا دليل على أن الكتاب قد أكمله مؤلفون آخرون عاشوا بعد الفقيه محمود كعت الجد[٥]. وبالتدقيق في نص كتاب تاريخ الفتاش، يتضح أن الكتاب أسهم في تأليفه ثلاثة مؤرخين، يمكن تسميتهم بمحمود كعت الأول (الجد)، ومحمود كعت الثاني (حفيد الأول) الذي توفي عام (١٠٠٢هـ/١٥٩٣م)، ودُفن في مدينة تنبكت[٦]، ومحمود كعت الثالث (سِبْطُ الثاني)، وهو المشهور بابن المختار القُنْبُلي، وهو الذي قام بتسجيل الأحداث التاريخية في كتاب الفتاش حتى عام (١٠٧٥هـ/١٦٦٤م)[٧]، وتوفي بعد هذا العام[٨]، وذكر حادثة وقعت في هذه السنة فقال: "وقد رأيت

---

[١] سبر ماسنة أي تلال ماسنة، وهو الإقليم الذي يقع حول الفرع الغربي لنهر النيجر، في الجنوب الشرقي من مملكة غانة، انظر إبراهيم طرخان: مرجع سابق، ص٨٥.

[٢] كعت: مصدر سابق، ص٩٥، ٩٦.

[٣] انظر تعليق آدم بمبا على كتاب تاريخ الفتاش، ص٣٤.

[٤] انظر، تاريخ الفتاش، ص٣٠٠.

[٥] راجع، محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢م، ص٣٥١؛ هارون المهدي ميغا: من الذين يسمون محمود كعت ومن منهم مؤلف تاريخ الفتاش، مجلة قراءات أفريقية، العدد ٢٤، ٢٠١٥، ص١٢٦، ١٢٧.

[٦] السعيدي: مصدر سابق، ص٢١١.

[٧] كعت: مصدر سابق، ص١٧٦؛ مجهول: تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، نشره هوداس، باريس، ١٩٦٦، ص٢٣٣؛ هارون المهدي: مرجع سابق، ص١٢٩.

[٨] كعت: مصدر سابق، ص١٧٦؛ مجهول: تذكرة النسيان، ص٢٣٣.

بعيني كثيرًا"[١]، وكان ذلك في عهد الباشا عمار بن أحمد عجرود الشرقي الراشدي (١٠٧٣-١٠٧٧هـ/١٦٦٢- ١٦٦٦م)[٢].

كان محمود كعت الأول كاتب الأسكيا محمد الأول، مؤسس أسرة الأساكي (٨٩٨-١٠٠٠هـ/ ١٤٩٣-١٥٩١م) التي حكمت مملكة صُنغي، وكان رسوله في المهمات الرسمية؛ فقد ذكر أنه ثالث ثلاثة أرسلهم هذا الأسكيا إلى سُنيِ بار بن سني علي؛ للاستسلام يقول في كتابه: "فأرسلني إليه؛ أي أنا الفقير المحتاج ألفع[٣] محمود كعت"[٤]، كما أن "محمود كعت" الأول رافق الأسكيا محمد الأول في حجه عام ٩٠٢هـ، ويصف نفسه بـ"المبتلى بالتأليف" في حديثه عن العلماء الذين رافقوا الأسكيا محمد إلي الحج[٥].

والراجح أن محمود كعت الجد قد كتب بخطه عدة مذكرات تضمنت بعض الروايات الشفهية المتداولة التي جمعها عن مملكتي غانة، ومالي، بالإضافة إلى الأخبار المتعلقة بمملكة صنغي في عهد سني علي (٨٦٨ – ٨٩٧هـ/١٤٦٤م-١٤٩٢م)، ثم في عهد الأسكيا محمد الأول الذي كان مقربًا منه، ورافقه في رحلة حجه وبوفاة كعت الأول خلال عهد هذا الأسكيا، نرجح أن الذي أكمل تدوين الأخبار الخاصة بهذا العهد وحتى نهاية عصر مملكة صُنغي عام ١٠٠٠هـ هو محمود كعت الثاني. ولهذا قال نحميا ليفتسيون أن محمود كعت الجد ترك نصوصًا متفرقة، وأن حفيده هو الذي جمعها واستفاد منها في تحرير كتاب تاريخ الفتاش[٦]. أما محمود كعت الثالث فمن المرجح أنه هو الذي جمع مذكرات الأول والثاني وأضاف إليهما الفترة الممتدة من الغزو السعدي حتى عام ١٠٧٥هـ.

---

[١] تاريخ الفتاش، ص١٧٦.

[٢] مجهول: تذكرة النسيان، ص٢٣٦؛ فاي منصور علي: أسكيا الحاج محمد وإحياء دولة السنغهاي (٨٨٩- ٩٣٥هـ/١٤٩٣-١٥٢٩)، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٩٨٧م، ص٦٥.

[٣] ألفع: (أَلْفَعْ أو ألفا)، أي الفقيه الأستاذ والمعلم المرشد. وكان هذا اللقب يطلق على العلماء تعظيمًا وإجلالًا لهم. ينظر: دريد عبد القادر نوري: تاريخ الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء من القرن ٤-١٠هـ/١٠-١٦م ، الموصل، ١٩٨٥، ص٢٧٩.

[٤] كعت: مصدر سابق، ص١٥٢.

[٥] المصدر السابق، ص١٦٥، ١٦٦.

[6] Levtzion, Nehmia: A Seventeenth-Century Chronicle by Ibn al-Mukhtār: A Critical Study of "Ta'rīkh al-fattāsh", Bulletin of the School of Oriental and African Studies. Vol.34, No.3, 1971, PP. 571- 593.

انظر آدم بمبا في دراسته وتعليقه على كتاب تاريخ الفتاش، ص٢٢.

وبالنظر فيما سبق يظهر أن محمود كعت الأول أسهم بدور كبير في تأليف كتاب تاريخ الفتاش، كما إن معلوماته تُعد من أهم المعلومات التي وردت في هذا الكتاب؛ لأنه عاصر الانطلاقة القوية لمملكة صنغى في عهد سُني علي، وعاصر سيطرة الأسكيا محمد الأول على الحكم وانتزاعه من سني بارو بن سُني علي (حكم سنة ٨٩٨هـ/١٤٩٣م)، بل إنه كان مقربًا من الأسكيا محمد، فكان رسوله في بعض المُهمات، ونستنتج من هذا أيضًا أن محمود كعت الأول كان له الفضل في كثير مما كتبه كل من محمود كعت الثاني ومحمود كعت الثالث.

أما محمود كعت الثاني (حفيد الأول)، فهو محمود كعت بن علي بن الحاج المتوكل محمود كعت بن زياد؛ وهو حفيد للأول من ناحية أبيه، بدليل قوله في معرض أحد الأخبار التي أوردها: "ونقلت هذا كله من كتاب الجد ألفع محمود بن الحاج المتوكل بخط بعض طلبته"[١]. ولم تحدد المصادر تاريخ مولد محمود كعت الثاني؛ ولكنه ولد حسبما ورد في تاريخ الفتاش في أيام حكم الأسكيا محمد الأول[٢]، كما إنه عاصر الأسكيا داود بن الأسكيا محمد الأول، وكان محمود كعت الثاني من المقربين إليه، ومستشاره، وصهره، فقد كان زوج ابنته "عائشة كيمر"، وتكرر ذكره في الحديث عن الأحداث في عهد الأسكيا داود، وكان حيًا عام (٩٩٦هـ/١٥٨٧م) في مدينة تندرم، وشهد بدايات سقوط مملكة صنغي[٣]، وتوفي عام (١٠٠٢هـ/١٥٩٣م)، ودُفن في مدينة تنبكت[٤].

ويتضح لنا مما تقدم أن نفس المميزات التي حازها محمود كعت الأول، حازها محمود كعت الثاني، بل زاد عليها الأخير بارتباطه بصلة نسب مع الأسرة الحاكمة بمصاهرته للأسكيا داود؛ ولهذا اتخذ منه هذا الأسكيا صديقًا مقربًا ومستشارًا له. وكان محمود كعت الثاني من المهتمين بجمع الروايات التاريخية، واستفاد من أبناء أسرته في جمع كثير من الأخبار التي وردت في كتاب تاريخ الفتاش[٥]، ونرجح أنه اختص بتدوين المرحلة الممتدة من عهد الأسكيا داوود إلى نهاية عصر مملكة صنغي على إثر الغزو السعدي لها عام ١٠٠٠هـ/١٥٩١م، لأنه ولد في أيام الأسكيا محمد الأول كما ذكرنا، وكان صهرًا للأسكيا داوود (٩٥٦-

---

[١] كعت: مصدر السابق، ص٤٨.

[٢] المصدر السابق، ص١٨٣.

[٣] المصدر السابق، ص٢٢٢، ٢٣٠. انظر تعليق ودراسة آدم بمبا على تاريخ الفتاش، ص ٣٣، ٣٤.

[٤] السعيدي: مصدر سابق، ص٢١١.

[٥] هارون المهدي: مرجع سابق، ص١٣٠.

٩٩٠هـ/١٥٤٩-١٥٨٢م) وقد ساعده هذا في التعرف على أحوال المملكة في عهد هذا الأسكيا، وتوفي في عام ١٠٠٢هـ؛ ومن ثم قام سبطه محمود كعت الثالث بإكمال الروايات التاريخية الواردة في تاريخ الفتاش.

أما محمود كعت الثالث (سِبْطُ الثاني)، وهو المشهور بابن المختار القنبلي، فمن المرجح أنه متمم (تاريخ الفتاش)، فقد عاش في القرن (١١هـ/١٧م)، وعاصر آثار الغزو المغربي لمملكة صُنغي، وبداية حكم الباشاوات المغاربة لهذه المملكة على إثر ذلك الغزو، وواصل الكتابة التاريخية كما فعل أسلافه محمود كعت الأول، والثاني؛ فقام بتسجيل الأحداث التاريخية في كتاب الفتاش حتى عام (١٠٧٥هـ/١٦٦٤م)[١]، وتوفي بعد هذا العام كما سبق القول.

وعلى ذلك، فمن المرجح أن محمود كعت الثالث هو الذي قام بجمع روايات كعت الأول، والثاني، ثم أضاف إليهما الفترة التي عاصرها دونهم وهي الفترة الممتدة من أحداث الغزو السعدي، وحتى عام ١٠٧٥هـ وهو العام الذي يمثل آخر أحداث الكتاب زمنيًا. وتبقى هذه مجرد احتمالات لأنه ليس هناك حد فاصل بين مرويات هؤلاء المؤلفين يمكننا التمييز بين دور كل منهم على حدة في تأليف الكتاب، باستثناء المراحل الزمنية التي أرخوا لها.

ويتفق الباحث مع بعض الآراء التي تشير إلى نسبة تاريخ الفتاش إلى محمود كعت الثالث المشهور بابن المختار القنبلي، وأنه هو الذي سمي الكتاب بهذا الاسم، وقام بجمع المذكرات التي دونها كل من محمود كعت الأول ومحمود كعت الثاني، في مصنف واحد وهو تاريخ الفتاش[٢].

وهكذا يمكن القول أن تاريخ الفتاش من تأليف ثلاثة مؤرخين من أسرة آل كعت الأسرة العلمية الشهيرة التي ذاع صيتها في مدينة تنبكت، وجميعهم كانوا من المهتمين بالتدوين التاريخي، وكانوا فقهاء وقضاة.

---

[١] كعت: مصدر سابق، ص١٧٦؛ مجهول: تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، نشره هوداس، باريس، ١٩٦٦، ص٢٣٣؛ هارون المهدي: مرجع سابق، ص١٢٩.

[٢] مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة، والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٩٩٨م، ص٢٩-٣٢؛ هارون المهدي: مرجع سابق، ص١٢٩، ١٣٠؛ انظر آدم بمبا في دراسته وتعليقه على كتاب تاريخ الفتاش، ص، ٥٥؛ محمد دوكوري: التزوير في مصادر تاريخ بلاد السودان: نبوءة في تاريخ الفتاش نموذجًا، دورية كان التاريخية، السنة١٣، العدد ٤٨، يونيو ٢٠٢٠، ص ٣٩.

يتبين مما سبق أن هناك إشكالية حول مؤلف الكتاب، وأنه هذه الإشكالية لم يفصل فيها أحد القول حتى الآن، وكل ما كتب عبارة عن اجتهادات استنتجها البعض من الاطلاع على نصوص الفتاش. وقد تعرض كتاب تاريخ الفتاش للنقد نتيجة الخلاف حول مؤلف هذا الكتاب من ناحية، ومن ناحية ثانية؛ إقحام النبوءة المنسوبة للإمام جلال الدين السيوطي بظهور الشيخ أحمدو لوبو، على النص الأصلي للكتاب؛ مما جعل البعض يشكك في مصداقية الكتاب ككل، ويتهم نصوصه بالتزوير والتحريف(١). فما هو تأثير ذلك على مرويات الكتاب فيما يتعلق بالممالك الإسلامية السودانية؛ وتحديدًا مملكة غانة المعنية بالدراسة؟

في الواقع أن نبوءة أحمدو لوبو أقحمت على تاريخ الفتاش، وتشير الآراء إلى اتهام ألفا نوح بن الطاهر الفلاني أحد المقربين من أحمدو لوبو ورئيس المجلس الكبير في إمبراطورية ماسنة بدس هذه النبوءة وإدخالها على نص تاريخ الفتاش(٢). وهذه النبوءة ارتبطت بالتنبؤ بخلافة الأسكيا محمد الأول ملك صنغي على بلاد التكرور، وخلافة أحمدو لوبو في ماسنة، وهي تخدم مساعي كسب شرعية الحكم لكل من الأسكيا محمد، وأحمدو لوبو، خاصة أن هذا الأسكيا جاء للحكم على إثر انقلابه على سني بارو بن سني علي، أما أحمدو لوبو فمنذ وصوله للسلطة ولم تستقر له الأوضاع، فحاول من خلال هذه النبوءة حمل الرعية على طاعته(٣). ولهذا أقحم فصل على النص الأصلي لمخطوطة تاريخ الفتاش، وهو الفصل الأول، ومن المرجح أن نوح بن الطاهر هو الذي قام بذلك(٤).

لكن بمراجعة مرويات الفتاش يتضح أنه بخلاف ذلك لم يكن لهذه النبوءة أي تأثير على الأخبار التي أوردها الفتاش بخصوص مملكة غانة التي كانت بعيدة زمنيًا عن عهد كل من الأسكيا محمد، وأحمدو لوبو

---

(١) انظر على سبيل المثال:

Levtzion, Nehmia: Op.Cit, pp.573, 574; Nobili, Mauro and Mathee, Mohamed Shahid: Towards a New Study of the So-Called Tārīkh al-Fattāsh, History in Africa , Volume 42 , 2015, pp.68, 69.

مطير سعد غيث: من مصادر تاريخ بلاد السودان الغربي: تاريخ الفتاش نموذجًا، مجلة جامعة الزيتونة، السنة الرابعة، العدد ١٥، ٢٠١٥، ص٤٠٦، ٤٠٧؛ محمد دوكوري: مصدر سابق، ص٢٧، ٢٨.

(2) Levtzion, Nehmia: Op.cit, p.573.

توصل إلى هذا الاستنتاج الدكتور آدم بمبا في دراسته وتعليقه على كتاب تاريخ الفتاش، ص١٩، ٥٥؛ محمد دوكوري: مرجع سابق، ص ٢٨.

(٣) تاريخ الفتاش، ص١٠٠.

(٤) انظر آدم بمبا في دراسته وتعليقه على كتاب تاريخ الفتاش، ص١٩.

اللذين أضـــيف النص المذكور للفتاش لحمل الرعية على طاعتهما، وينطبق هذا القول أيضًـــا على الروايات المتعلقة بمملكة مالي في تاريخ الفتاش، بل وكذلك على الروايات المتعلقة بمملكة صُـــنغي باســـتثناء مســـألة خلافة الأسكيا محمد بأرض التكرور، وروايات الطعن والقدح في شخص سني علي لصالح هذا الأسكيا.

ثانيًا- منهج الفتاش ومصادره في التأريخ لمملكة غانة:

شرع القاضي محمود كعت الأول (الجد) في تأليف الفتاش خلال الثلث الأول من القرن العاشر للهجرة، وكانت مملكة صـــنغى آنذاك قد وصـــلت إلى قمة ازدهارها الحضـــاري لا سـيما في عصـــر أســـرة الأســـاكي ومؤسســـها أسـكيا الحاج محمد الأول. لهذا أشـار كعت في مقدمة كتابه أنه رأى أن عهد هذا الأسـكيا جدير بالتســـجيل والتأريخ، وقال في مقدمته متحدثًا عن هذا الأســـكيا: "أردت أن نجمع من أحواله الحلوان مع ذكر شي عال (سني علي) الملعون مما سهل على اليد واللسان وعلى الله سبحانه التكلان"[١].

وإذا دققنا النظر في هذه المقدمة نجد أن محمود كعت حدد الهدف الذي دفعه لتأليف الكتاب، ويتمثل في ظروف العصـــر الذي عاش فيه، فتولدت لديه الرغبة في تسـجيل أحداث تلك الفترة التاريخية التي رأى أن مملكة صنغى الإسلامية عانت فيها من حكم سني علي، وما شاب هذا العهد من أخطاء من وجهة نظره، ولا سيما سياساته التي وصفها كعت "بالظلم والطغيان"، والاستيلاء على أموال الناس بالباطل، ثم انتقال المملكة إلى فترة حكم الأســـكيا محمد التي رآها كعت بأنها فترة رخاء، رفرفت فيها راية الأمن والســـلام على جنبات مملكة صـــنغى ومن ثم فهي فترة جديرة بالتســـجيل التاريخي. ومن خلال هذا الهدف أكد كعت أنه يســعى في كتابه لتدوين سـيرة هذا الأسـكيا، وتوسـعاته الكثيرة وحروبه التي فتح بمقتضـاها البلاد شـرقًا وغربًا، وأخضـع بمقتضـاها القبائل والجماعات والممالك لسـلطته، ولذلك وصـفه كعت بأنه: "الإمام الصـالح والخليفة العادل والسـلطان الغالب والمنصـور القائم"[٢]. وبهذا نلاحظ أن مؤلف الفتاش أراد المقارنة بين عهدين -من وجهة نظره- عهد سني علي المليء بالظلم والطغيان والتجبر، وعهد الأسكيا محمد الأول الذي اتسم بالاستقرار والازدهار والعدل، واستخدم صاحب الفتاش المقارنة كواحدة من أدوات المنهج الذي اتبعه في تأليف كتابه،

[١] كعت: مصدر سابق، ص٩٠.

[٢] المصدر السابق، ص٨٩.

ليصل إلى الاستنتاج الذي أراده وهو أحقية الأسكيا محمد بالوصول للسلطة على حساب سني علي، والذي وصف في الفتاش "بالملعون"[١].

ويبين هذا الهدف أن مؤلف الفتاش لم يكن يقصد كتابة تاريخ شامل لممالك السودان الغربي، وفي ضوء هذا الهدف لم يختص صاحب الفتاش مملكتي غانة ومالي إلا بعدد من الإشارات القليلة في ظل اهتمامه الكبير بالتأريخ لعصر أساكي صُنغي ، واختص بنصيب وافر من التدوين مملكة صُنغي التي عاصرها، وملكها الأسكيا محمد الأول الذي عاش في كنفه، كما تناول تاريخ خلفائه من الأساكي، ثم سقوط المملكة على إثر الغزو السعدي لها، ثم تحدث بإيجاز عن بداية حكم الباشوات المغاربة لصنغي.

ومن أهم سمات المنهج الذي اتبعه كعت أيضًا أنه حدد فترة زمنية يؤرخ لها وهي فترة حكم سني علي مرورًا بحكم ابنه سني بارو، ثم التركيز على فترة حكم الأسكيا محمد الأول، وإذا كان المؤرخ قد أشار في مقدمة كتابه إلى أنه سيؤرخ لتلك الفترة، إلا أنه لم يلتزم بذلك فقد امتد به العمر وتوالت الأحداث والوقائع؛ فتابع التأريخ لعهود أبناء الأسكيا محمد الأول الذين خلفوه في حكم مملكة صنغى إلى أن وقعت أحداث الغزو المغربي لتلك المملكة[٢]؛ فتوقف عن الكتابة. ولكن لم تتوقف مرويات هذا الكتاب التي امتدت حتى عام ١٠٧٥هـ كما سبقت الإشارة[٣].

ومن جهة أخرى فقد اعتمد تاريخ الفتاش على المعاينة والمشاهدة، فقد أكد مؤلفوه في ثنايا الكتاب أن معظم الأحداث التي أرخوا لها كانت "لما رأيناه وشاهدناه"[٤]، وهذا أمر له أهميته عند دراسة تاريخ الفتاش لأنه يعد وثيقة تاريخية مهمة[٥].

ولمَّا لم يكن بإمكان صاحب الفتاش تطبيق هذا المنهج في تأريخه لمملكة غانة، أو بالأحرى لم يتم الاستفادة من المعاينة والمشاهدة في التأريخ لتلك المملكة؛ لأن مؤلفي الفتاش لم يعاصروها؛ فقد اعتمدوا على

---

(١) المصدر السابق، ص٩٠.

(٢) كعت: مصدر سابق، ص ٢٦٢- ٢٧٠؛ أبو وردة السعدني: سنغي الإسلامية من خلال "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس"، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، العدد١٤، ١٩٩٤، ص٥٩٧، ٥٩٨.

(٣) كعت: مصدر سابق، ص١٧٦.

(٤) المصدر السابق، ص١٠٠.

(٥) أبو وردة السعدني: مرجع سابق، ص٥٩٨.

السماع، أي تدوين الرواية الشفهية المتداولة عن تاريخ هذه المملكة، ويؤخذ عليهم أنهم اكتفوا بتلك الروايات دون الاعتناء بالاطلاع على ما دونته المصادر الإسلامية مشرقية ومغربية، وهذا سنبينه في الحديث عن انتشار الإسلام، والحياة السياسية لهذه المملكة.

ومن سمات المنهج الذي اتبعه صاحب الفتاش أيضًا، إعمال النقد –وإن كان على استحياء– فرغم احتواء الكتاب على بعض الروايات التي تنطوي على كثير من المبالغات نتيجة اعتماده على الروايات الشفهية، إلا أن مؤلف الكتاب توقف بعد سرد بعض الأخبار واعترف ببعدها عن الواقع وصعوبة تصديقها، ومن ذلك الاعتراف أثناء تدوين بعض الأخبار عن مملكة غانة بصعوبة تصديق هذه الأخبار، يقول صاحب الفتاش عن أهل غانة: "وقد بَعُدَ زمانهم ومكانهم علينا، ولا يتأتى لمؤرخ في هذا اليوم أن يأتي بصحة شيء من أمورهم يقطع بها"[١]، كما اعترف بمبالغة بعض الأخبار التي أوردها حول رحلة حج منسا موسى ملك مالي (٧١٢-٧٣٧هـ/ ١٣١٢-١٣٣٧م) عام ٧٢٤هـ/١٣٢٥م، ومن ذلك قوله عن ركب هذا المنسا: "وفي قصة سيره أشياء أكثرها لا يصح ويأبى العقل قبول ذلك"[٢]. وهذا يعني أن صاحب الفتاش رغم نقله لبعض الروايات الأسطورية لكنه كان يشكك فيها في حالات قليلة، ولم يلتزم هذا المنهج في كثير من الأحيان[٣].

أما عن أسلوب تأليف الفتاش، فيمكن القول أن مخطوطة الكتاب كتبت بالخط المغربي، وجاء نصه وحدة واحدة بلا انقطاع بالرغم من تنوع المعلومات واختلافها كليًا عن بعضها البعض؛ أي أنه لم يتم تقسيمها إلى أبواب وموضوعات متفرقة ولم يقسم لا زمنيًا ولا موضوعيًا[٤]. كما إن الكتاب يحوي الكثير من المصطلحات التي كتبت باللهجة المحلية السودانية، وهذا يحتاج إلى جهد في استكشاف معاني هذه المصطلحات، ويرجع ذلك إلى كون اللغة العربية هي اللغة الثانية بالنسبة لمؤلف الفتاش؛ بالإضافة لكونه ينقل حكايات شعبية وإرثًا شفهيًا لو دخلت عليه محسنات اللغة لضاعت أغلب معانيه[٥].

---

[١] تاريخ الفتاش، ص١٣٦.

[٢] المصدر السابق، ص١٢٠ – ١٢٢.

[٣] المصدر السابق، ص ٩٠-١١٦.

[٤] المصدر السابق، ص١٣٤ وما بعدها.

[٥] أحمد الشكري: الذاكرة الأفريقية في أفق التدوين إلى غاية القرن ١٨م (نموذج بلاد السودان)، منشورات معهد الدراسات الأفريقية، الرباط، ٢٠١٠، ص١١٩.

هذا بالنسبة للمنهج، أما بالنسبة لمصادر الفتاش في الأخبار التي أوردها عن مملكة غانة، فإنه اعتمد كليًا على الرواية الشفهية، وعندما يحدثنا صاحب الفتاش عن مصادره فإنه ينقل بأسلوب العنعنة في نقل الأخبار عن الرواة الموثوق فيهم والسلف الذين يحفظون الكثير من الأخبار والروايات الشفهية[١]. ففي معرض حديث الفتاش عن مملكة غانة ينقل أخبارًا شفهية فيقول في أحد المواضع "حدثني بعض السلف"[٢]، وفي موضع ثانٍ يحدد مصادره فيقول حدثني بعض الموثقين عن الفقيه قاضي ماسنة الفع أيد الماسني[٣]، وفي موضع ثالث ينقل أخبارًا على لسان الشيخ محمد تُكَادُ بن مُور محمد بن عبد الكريم فُوفَنَ[٤].

ولم يرد بتاريخ الفتاش فيما يخص مملكة غانة أية أخبار منقوله من المصادر الإسلامية مطلقًا، ونسجل الملاحظة نفسها بخصوص مملكة مالي وريثة غانة، باستثناء فقط مقارنة صاحب الفتاش بين مسير أهل مالي نحو إحدى البحار لغسل ثيابهم مسيرة يومين، وبين مسير سيدنا آدم عليه السلام من جبل سرنديب نحو البحر في خطوة واحدة رغم أنه يستغرق يومين في العادة، ويقول صاحب الفتاش أنه قرأ هذه قصة جبل سرنديب هذه في كتاب خريدة العجائب[٥]. وبهذا فإنه اطلع على إحدى الكتب المشرقية، وهو كتاب خريدة العجائب لسراج الدين ابن الوردي الحلبي(المتوفى عام ٨٦١هـ/١٤٥٧م) ونقل عنه هذه الرواية[٦]. لكن ما يستغرب له أن صاحب الفتاش اختار هذا الكتاب المشرقي الذي يحوي كما هو واضح من عنوانه الكثير من الأساطير والروايات الغريبة والعجيبة التي هي في أغلبها روايات شفهية متناقلة منذ القدم، وهذا يوضح ولع كعت بهذا النوع من الأخبار.

ثالثًا- انتشار الإسلام في مملكة غانة في ضوء كتاب تاريخ الفتاش:

يرجع الفضل في انتشار الإسلام ببلاد السودان الغربي إلى الصلات التجارية بين شمال الصحراء الكبرى وجنوبها، وتحديدًا الصلات بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي. والإسلام قديم في بلاد السودان

---

[١] كعت: مصدر سابق، ص١٣٤ وما بعدها.

[٢] كعت: مصدر سابق، ص ١٣٥.

[٣] المصدر السابق، ص١٣٤، ١٣٥.

[٤] المصدر السابق، ص١٣٥.

[٥] المصدر السابق، ص١٢٧.

[٦] انظر ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، حققه أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٨، ص٢٧٦.

الغربي قدم الصـــلات التجارية التي ترجع إلي أوائل القرن الثاني الهجري، فظاهرة اقتران الإســـلام بالتجارة ظاهرة معروفة في أفريقيا جنوب الصحراء. فقد اعتنق تجار السودان الغربي وسكانه الإسلام قبل فئة الحكام ورجال الحاشية نتيجة اتصالهم بأقرانهم من بلاد المغرب الإسلامي، ويدعم هذا الرأي انتشار الإسلام في غانة بين الرعايا وانتشـار بعض المظاهر الإسـلامية مثل بناء المسـاجد قبل اعتناق الحكام لهذا الدين[١]. لكن ما الذي قدمه تاريخ الفتاش من أخبار حول انتشار الإسلام في غانة؟

يرجع انتشـار الإسـلام في مملكة غانة إلى الصـلات التى ربطتها ببلاد المغرب الإسـلامي، ولكن نتيجة هذا التسرب السلمي للإسلام؛ فإن قضية انتشار الإسلام في غانة وفي غيرها من الوحدات السياسية ببلاد السودان من القضايا غير المحددة بتاريخ مؤكد، غير أن وصول الإسلام إلى تلك المنطقة قديم، ويسوق لنا البكري قصة ذلك الجيش الذي أرسله بنو أمية إلى تلك الجهات ونشره الإسلام بين أهل غانة، وأن بهذه البلاد جماعة من ذرية ذلك الجيش[٢]. ولا نعتقد في صـــحة هذا الخبر الذي جاء به البكري، بل إن ما يشـــير إلى انتشـار الإسـلام في مملكة غانة هو توقير ملكها المدعو بســي الذي توفي عام ٤٥٥هـ/١٠٦٣م، للإسـلام والمسـلمين، وكذلك فعل وريثه في الحكم وابن أخته المدعو تنكامنين حيث كان يعتمد في شـؤون حكمه على المسلمين، وهو ما أكد عليه البكري نفسه[٣].

---

[١] البكرى: مصدر سابق، ص ١٧٥ ؛ حسين مراد: الصلات، ص ٣٩٤؛ محمد الفاسي وإيفان هربك: مراحل تطور الإسلام وانتشاره في أفريقيا، تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو ١٩٩٤، المجلد الثالث، ص ٩٤.

[٢] المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندرى فيرى، الدار العربية للكتاب، بيروت، ١٩٩٢، ج٢، ص٨٧٧.

[٣] المصدر السابق، نفس الجزء، ص٨٧١؛ محمد جاب الله علي: مدينة كومبي صالح ودورها الحضاري في ضوء تقارير الحفائر الآثارية من القرن الرابع حتى مطلع القرن السابع للهجرة، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، المجلد٦، العدد١١، أكتوبر ٢٠٢١، ص١٧٦.

ومن أدلة انتشار الإسلام في مملكة غانة بفضل الصلات التجارية مع بلاد المغرب الإسلامي، ما ذكره البكري[١] أيضًا ونقلته عنه بعض المصادر الإسلامية[٢] بوجود اثنين من الأحياء في مدينة كومبي صالح[٣] عاصمة غانة، حي إسلامي، والآخر وثني؛ وهذا يعني أن هناك قسم إسلامي بعاصمة غانة رغم وثنية ملكها ظل ينمو ويعمر بسكانه المسلمين عبر فترة زمنية طويلة حتى صار هذا القسم يمثل شطر عاصمة مملكة غانة[٤]، هذا فضلًا عن تشييد ملك غانة الوثني آنذاك لمسجد في الحي الوثني يصلي فيه من يفد على الملك من المسلمين، وكذلك من وظفهم الملك من المسلمين للعمل في بلاطه[٥].

وتقدم تقارير الحفائر الآثارية ما يثبت انتشار الإسلام ورسوخ مكانته بين السكان، ويؤكد أيضًا صدق رواية البكري وقيمة ما كتبه حول تاريخ مملكة غانة؛ فقد عثر على آثار مسجد في موقع كومبي صالح، يرجع تاريخ وجوده للقرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي[٦]. كما عثر على عدد من شواهد القبور في موقع كومبي صالح أيضًا، تحمل في نقوشها آيات قرآنية، وأسماء إسلامية، وتحمل تلك الشواهد تواريخ مختلفة يرجع أقدمها لعام ٤٢٨هـ/١٠٣٧م[٧].

---

[١] المسالك والممالك، ج٢، ص٨٧١.

[٢] أبو الفداء: تقويم البلدان، نشره ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠، ص١٥٧؛ الحميرى: الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥م، ص٤٢٥-٤٢٦.

[٣] يعنى اسمها، مدينة صالح، وهى مدينة أثرية غمرتها الرمال كانت عاصمة لمملكة غانة، والراجح من نص الإدريسي أن كومبى صالح سميت باسم صالح ملك غانة، والذى يدَّعى أن نسبه يرجع إلى صالح بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي كرم الله وجهه، انظر: نزهة المشتاق، ص٢٣؛ محمد جاب الله: مرجع سابق، ص١٦٩.

[٤] إبراهيم طرخان، مرجع سابق، ص٣١-٣٣.

[٥] المرجع السابق، ص٤٣-٤٥؛ حسين مراد: الصلات، ص ٤٠٠؛ محمد جاب الله: مرجع سابق، ص١٧٦، ١٧٧.

[6] Capel, Chloé; Zazzo, Antoine; Polet, Jean; Saliège, Jean-François: The end of a Hundred-Year-old archaeological riddle: first dating of the columns tomb of Kumbi Saleh (Mauritania) Radiocarbon, University of Arizona, 57, (1), 2015, pp. 67,72; See also Constant, Hamès and Cuoq, Joseph: Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'Ouest, des origines à la fin du XVIe siècle, Archives de sciences sociales des religions, n°67/2, 1989. p. 255.

انظر أيضًا: أحمد الشكري، مملكة غانة وعلاقاتها بالحركة المرابطية: هل حقًا قام المرابطون بغزو غانة، معهد الدراسات الأفريقية، الرباط، ١٩٩٧، ص٢٥.

[7] Farias, Paulo Fernando De Moraes: Arabic medieval inscriptions from the republic of Mali: Epigraphy, chronicles and Songhay-Tuareg history, Published for British Academy, Oxford University Press, 2003, p. 142.

محمد جاب الله: مرجع سابق، ص١٧٧.

يتضح مما سبق إسلام رعايا غانة دون ملوكها، وهذه الصورة التى توضح حالة الإسلام فى غانة رسمها البكرى في حدود عام ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م، ويعني ذلك أنه حتى هذا التاريخ لم يصبح الإسلام دينًا رسميًا في غانة يعتنقه ملوكها، ونترك البكري وصورته التى تغيرت في عهد الإدريسي فقد اعتنق الجميع حكامًا ومحكومين الإسلام. وانفعالًا بهذه العقيدة الجديدة ادعى ملك غانة المسلم وجود صلة نسب بآل البيت وخاصة البيت العلوى، مع تبعية للخلافة العباسية[١]. ونرجح في ضوء ذلك أن إسلام ملك غانة قد تم في أواخر القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادي[٢].

لم يورد صاحب الفتاش أية إشارة خاصة بمسألة انتشار الإسلام في مملكة غانة، بالرغم مما كتبه البكري عن انتشار الإسلام ووضع المسلمين في غانة خلال القرن الخامس للهجرة، وما كتبه الإدريسي[٣] عن الإسلام والمسلمين في غانة خلال القرن السادس للهجرة، ثم ما نقلته بعض المصادر الإسلامية عن هذين المصدرين، ولا سيما الحميري المتوفى عام (٧٢٧هـ/١٣٢٦م)[٤] صاحب الروض المعطار، فقد نقل رواية الإدريسي كما هي ولم يزد عليها رغم أن روايته ترجع للقرن الثامن للهجرة، حين تحدث عن انتشار الإسلام بين أهل غانة وكثرة مساجدهم[٥]. كذلك فقد نقل أبو الفداء المتوفى عام (٧٣٢هـ/١٣٣١م) صاحب تقويم البلدان، رواية البكري كما هي والخاصة بوجود قسمين في غانة أحدهما إسلاميًا، وثانيهما وثنيًا ويسكنه الملك وحوله عدد من المستشارين والوزراء المسلمين[٦]، ولم يضف أبو الفداء جديدًا؛ لأنه حين كتب خلال القرن الثامن للهجرة أيضًا

---

[١] الإدريسي: مصدر سابق، ص٢٣؛ حسين مراد: الصلات، ص ٤٠١.

[٢] حسين مراد: الصلات، ص ٤٠١.

[٣] نزهة المشتاق، ص٢٣.

[٤] هناك إشكالية حول تاريخ وفاة الحميري، فقد رأى الكثيرون أنه توفي عام ٩٠٠هـ/١٤٩٤م، لكن الصحيح أنه توفي عام ٧٢٧هـ/١٣٢٦م؛ فهناك رواية لابن حجر العسقلاني (المتوفى عام ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) تفيد بأن الحميري توفي في ذي القعدة من عام ٧٢٧هـ، انظر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج٤، ص٣٣؛ محمود كامل عبد الكافي: بعض جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الأندلس من خلال كتاب الروض المعطار للحميري (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، المجلة التاريخية المصرية، تصدر عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، المجلد السادس والخمسون، ٢٠٢٢، ص ٣٠٤، ٣٠٥.

[٥] الحميرى: مصدر سابق، ص٤٢٥-٤٢٦.

[٦] تقويم البلدان، ص١٥٧.

كان نفوذ غانة السياسي قد انتهى، وأصبح أهل غانة في معظمهم يدينون بالإسلام. ويعني هذا أن ما دوَّنَه كل من البكري والإدريسي هو المصدر الأساس لكل ما كتب عن مملكة غانة الإسلامية.

ويعد هذا قصورًا واضحًا في تأريخ صاحب الفتاش لانتشار الإسلام في هذه المملكة المهمة، التي تعد من أقدم ممالك السودان الغربي، فالأخبار التي أوردها البكري تحديدًا حول انتشار الإسلام في تلك المملكة، تعد في غاية الأهمية، لدقة تلك الأخبار، واتفاق تقارير الحفائر الآثارية معها.

ويظهر مما ورد في تاريخ الفتاش عن مملكة غانة أن صاحبه لم يطلع على هذه المصادر سواء المغربية أم المشرقية التي أوردت بعض الأخبار عن انتشار الإسلام في هذه المملكة، وإنما اكتفى بما تداولته الرواية الشفهية التي لم تورد أية أخبار عن انتشار الإسلام فيها، وهذا يرجع إلى طبيعة الفتاش المعتمدة بشكل رئيس على الرواية الشفهية، هذا فضلًا عن أن هدف الكتاب كان التأريخ لمملكة صُنغي، ولم يكن لدى مؤلفه اهتمام بالتأريخ لغانة أو حتى مملكة مالي وريثتها في حكم بلاد السودان الغربي.

وبخلاف مملكة غانة، كانت هناك إمارة معاصرة لهذه المملكة، وهي إمارة التكرور الواقعة على الضفة اليسرى لنهر السنغال، وهى تقابل مجال قبائل صنهاجة الملثمين على الضفة اليمنى من ذلك النهر، خاصة قبيلة جدالة، وكان بديهيًا بحكم القرب الجغرافى من ديار المسلمين أن ينتشر الإسلام فيها منذ وقت مبكر[١]، بالإضافة إلى الصلات التجارية والسياسية التى ربطت التكرور ببلاد المغرب. ومصدرنا الوحيد عن انتشار الإسلام في التكرور هو البكري الذى يذكر انتشار عبادة الأصنام فيها حتى قام حاكم التكرور ورجابي بن رابيس المتوفى عام ٤٣٢هـ/١٠٤٠م بحمل أهلها على الإسلام وإقامة شرائعه[٢]، أي أن الإسلام أصبح الدين الرسمي لإمارة التكرور في الثلث الأول من القرن الخامس الهجرى/ الحادي عشر الميلادي[٣]. ورغم أهمية هذا الحدث لم يحدثنا الفتاش عن ذلك مطلقًا، فلم يتحدث عن تاريخ إسلام حاكم التكرور، وتاريخ إسلام رعيته رغم معاصرتها لمملكة غانة التي خصها الفتاش ببعض المعلومات، ويرجع هذا إلى عدم اطلاع صاحب الفتاش على ما كتبه البكري، وعدم عنايته بتسجيل تلك الأحداث المهمة.

رابعًا- نشأة مملكة غانة وأوضاعها السياسية في ضوء كتاب تاريخ الفتاش:

---

[١] أحمد الشكرى: الإسلام والمجتمع السوداني، ص ٩٤.

[٢] المغرب، ص١٧٢.

[٣] المصدر السابق، نفس الصفحة؛ حسين مراد: الصلات، ص٣٩٨.

تعد مملكة غانة أول تجربة أو أقدم ما عرف من تجارب الحكم المحلي الناجح ببلاد السودان الغربي خلال العصر الإسلامي[١]؛ ولهذا من المهم التعرف على نشأة المملكة وأوضاعها السياسية في ضوء ما أورده تاريخ الفتاش، ولكن قبل ذلك من الأحرى التعرف على ما أوردته المصادر الإسلامية عن تلك المملكة.

وردت أول إشارة عن غانة في المصادر الجغرافية الإسلامية، فذكرها الفزاري المتوفي عام (١٦١هـ/٧٧٧م) في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وأشار إليها بأرض الذهب[٢]، ثم ذكرها الخوارزمي المتوفي عام(٢٣٢هـ/٨٤٦م)، الذي وضعها ضمن الإقليم الأول من المعمور، وذكرها في موضعين، الأول: عند ذكره لمدن الإقليم الأول، فذكر غانة وكَوكَو، وأما الموضع الثاني عندما تحدث عن العيون والأنهار في ذات الإقليم فذكر عين غانة والنهر الذي يجري منها[٣]. وكان أهم ما دون عن تاريخ هذه المملكة ما كتبه الجغرافي البكري الذي أشار إلى أن غانة عبارة عن مدينتين كما سبق البيان[٤]. ونقل أبو الفدا عن البكري أيضًا بأنها مدينتان إحداهما يسكنها المسلمون والثانية يسكنها الوثنيون[٥].

وبعد أن تعرفنا على أبرز ما أوردته المصادر الإسلامية عن مملكة غانة، نرصد الأحوال السياسية لهذه المملكة في ضوء كتاب تاريخ الفتاش.

إن أول ما يُلفت الانتباه فيما يتعلق بتناول محمود كعت لمملكة غانة ونشأتها وأوضاعها بشكل عام أنه لم يبدأ حديثه عن هذه المملكة إلا بعد أن تحدث عن أسكيا محمد الأول –الذي أولاه جل اهتمامه كما ذكرنا–

---

[١] نعيم قدّاح: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مراجعة عمر الحكيم، مكتبة أطلس، دمشق، ١٩٦٠، ص٢٨.

[٢] يوجد نص الفزاري بين دفتي كتاب المسعودي: مروج الذهب، ص٣٩.

Mauny, Raymond: The question of Ghana, Africa, Vol. 24, No.3, 1954, p. 201.

[٣] صورة الأرض من جغرافية بطليموس في المدن والجبال والبحار والجزائر والأنهار، تحقيق هانس فون مزيك، دار بيبليون، لبنان، ٢٠٠٩، ص١٠١، ١١١.

[٤] المسالك والممالك، ج٢، ص٨٧١.

[٥] تقويم البلدان، ص١٥٧.

ثم عن منسا موسى ملك مالي، ثم عن مملكة كَيَّاكَ[١]، وبعد ذلك تحدث عن غانة التي أطلق عليها "دولة كَيَمَعَ"، وكيمع المقصود بها ملك غانة إذ أن كيمع تعني ملك الذهب بلغة أهل البلاد[٢].

والمعروف أن مملكة غانة أسبق في النشأة والظهور على مسرح الأحداث سياسيًا من كل الكيانات التي تناولها كعت، فأسكيا محمد الأول الذي بدأ الفتاش بالحديث عنه هو مؤسس أسرة الأساكي التي حكمت مملكة صُنغي في الفترة ما بين عامي (٨٩٨-١٠٠٠هـ/ ١٤٩٣-١٥٩١م)، كما إن مملكة صُنغي هي آخر الممالك الإسلامية من حيث الظهور السياسي في بلاد السودان الغربي، ثم يرجع كعت بالزمن ليتحدث عن مَلَّكُيْ كَنْكُ موسى، أي منسا موسى ملك مالي (٧١٢-٧٣٧هـ/ ١٣١٢-١٣٣٧م). بعد ذلك يرجع كعت بالزمن مرة أخرى ليتحدث عن مملكة كياك، أو كانياجا Kaniaga وهي المملكة التي ظهرت سياسيًا نتيجة ضعف مملكة غانة، فانتصرت عليها في بعض المعارك بقيادة بعض قادة كياك ولا سيما ديارا كانتي Diara Kante، ثم سومانجورو كانتي Sumanguru Kante (٥٩٧ – ٦٣٣هـ/١٢٠٠- ١٢٣٥ م)[٣].

ومن خلال ما سبق يظهر جليًا أن غانة رغم أنها الأقدم ظهورًا سياسيًا عن كل تلك الكيانات إلا أن صاحب الفتاش لم يراع البعد الزماني في عرضه لتاريخ تلك الكيانات، وكان من الأحرى أن يبدأ حديثه بمملكة غانة، ثم كياك، ثم منسا موسى ملك مالي، وأخيرًا يتحدث عن مملكة صنغي وملكها الأسكيا محمد الأول. والسؤال الذي يفرض نفسه هل عدم مراعاة كعت للبعد الزماني في عرضه للأحداث سالفة البيان ينم عن عدم إدراكه لأهمية ذلك في الكتابة التاريخية؟

---

[١] انظر تاريخ الفتاش، ص ٩١- ١٢٣.

كانت مملكة كياك قد ظهرت نتيجة ضعف مملكة غانة، ثم سيطرت عليها مملكة مالي، وأصبح يحكمها أمراء وعبيد تابعين لمنسا موسى (٧١٢-٧٣٨هـ)، وخرج أهلها عن طاعة ذلك المنسا، وتحدى ملوكها الذين عرفوا "بأولاد جاور" سلطة منسا موسى، وقويت سلطتهم واتسع نفوذ مملكة كياك، نتيجة قوة جيشها، فاستطاعوا التغلب على من جاورهم في بعض المواجهات الحربية، وكانوا يخرجون للقتال فيما يزيد عن ألفين من الفرسان، وهو الأمر الذي جعل منسا موسى يتجه لمحاربتهم إلا أنهم استعصوا عليه. كما عاصرت هذه المملكة مملكة صُنغي، وقد ساعدها جيش مملكة صنغي في عهد الأسكيا محمد الأول في إحدى حروبها ضد ملك سلطنة فوت المدعو تنيض. كعت: مصدر سابق، ص١٣٠-١٣٣؛ بطل شعبان محمد: مرجع سابق، ص٢٠٩.

[٢] كعت: مصدر سابق، ص١٣٤. انظر أيضًا حماه الله ولد السالم: صحراء الملثمين وبلاد السودان في نصوص الجغرافيين والمؤرخين العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١، ص٣٧٧، ٣٧٩.

[٣] بطل شعبان محمد: مرجع سابق، ص٥٤، ٥٥.

من الواضح أن صاحب الفتاش التزم بالترتيب الزمني للأحداث بعد انتهائه من الحديث عن مملكة غانة، فتناول شي عال أو سني علي ملك صُنغي، ثم أخذ يرتب الأحداث وفقًا لعهود ملوك صنغي واحدًا تلو الآخر مما يعني إدراكه لقيمة الزمن في ترتيب الحدث التاريخي؛ من ثم نرجح أن وقوعه في هذا الخطأ يرجع لسببين؛ أولهما رغبته في تقديم الحديث عن الأسكيا محمد الأول ليتصدر بداية تأريخه فهو الحاكم الذي عاش كعت في كنفه وأكرمه ووصله بالعطايا وكان ممن اصطحبهم في رحلة حجه الشهيرة، لذا رأى كعت أن يتجاوز عنصر الزمان في هذا الموضع، أما ثاني تلك الأسباب –وهو مرتبط بالسبب الأول– فيتمثل في عدم اهتمام كعت بالتأريخ لمملكتي غانة ومالي واهتمامه في المقابل بعهد الأسكيا محمد وعهود خلفائه، خاصةً أن الحقبة الزمنية التي سبقت عصر مملكة صنغي عرفت غيابًا في المادة التاريخية لبعد كعت زمنيًا عنها، فكان اعتماده الرئيس في التأريخ لتلك الحقبة على الروايات الشفهية، والتي لم يعرف من خلالها سوى القليل عن تلك الحقبة.

وبالرغم مما ورد في المصادر الإسلامية عن مملكة غانة؛ فإن صاحب الفتاش كما يظهر من رواياته لم يطلع على أي من هذه المصادر، واعتمدت كتاباته عن هذه المملكة وتاريخها على الروايات الشفهية المتداولة، كما ذكرنا[١]. ويُفهم من كلام كعت أنه نقل مثل هذه الروايات دون اطمئنانٍ كامل لمحتواها، ولذا قال بعد انتهائه من الحديث عن غانة: "وقد بَعُدَ زمانهم ومكانهم علينا، ولا يتأتى لمؤرخ في هذا اليوم أن يأتي بصحة شيء من أمورهم يقطع بها، ولم يتقدم لهم تاريخ؛ فيعتمد عليه"[٢].

نتفق مع كعت فيما ذهب إليه بأن بعده زمانيًا ومكانيًا عن مملكة غانة يجعل من الصعوبة بمكان الجزم بصحة الأخبار المتواترة عن هذه المملكة في الروايات الشفهية، وهذا يؤكد الحس التاريخي عند كعت وإدراكه أهمية القرب المكاني والزماني للحدث في عملية التدوين التاريخي. لكنه إذا لم يكن بوسعه العثور على مصدر تاريخي سوداني يعتمد عليه في التأريخ لغانة كما هو واضح من قوله "ولم يتقدم لهم تاريخ فيعتمد عليه"، فإنه لم يهتم بالاطلاع على المصادر الإسلامية ولا سيما المغربية التي تحدثت عن مملكة غانة؛ لأنه على ما يبدو لم يعلم بها ولم يجهد نفسه في البحث عنها؛ وبالتالي لم يطلع عليها.

أما عن النشأة السياسية للمملكة فلا يوجد في أي من المصادر التاريخية وغيرها ما يسهم في التعرف على تحديد ملامح تلك النشأة؛ لكن صاحب الفتاش أرخ لهذه المملكة قبل انتشار الإسلام بها، وللأسرة الأولى

---

[١] تاريخ الفتاش، ص١٣٤، ١٣٥.

[٢] كعت: مصدر سابق، ص١٣٦.

ولملوكها الأوائل الذين حكموها، وأنه قد مضى من هؤلاء الملوك عشرون ملكًا قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم[١].

وفيما يتعلق بأصل هؤلاء الملوك؛ فقد أبرز صاحب الفتاش الاختلاف حوله، وقيل إنهم ينتسبون لقبيلة وَعْكُرُيْ أو وَنْكَرَ أي "الونقارة"[٢] إحدى بطون قبائل الماندنجو السودانية، وهناك من ينسبهم لقبائل صنهاجة من البربر. وقد استبعد كعت انتساب ملوك غانة للونقارة فقال "وهو ضعيف لا يصح"، ورجح أن يكونوا من صنهاجة، وأن الأصح أنهم ليسوا من السودانيين[٣].

وبتتبع الإشارات المصدرية النادرة حول أصل ملوك غانة الأوائل وسلاطينها، يمكن القول أنهم كانوا من البيض على نحو ما أشار إليه السعيدي (المتوفى عام ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) بقوله: "وهم بيض في الأصل ما نعلم من ينتمي إليه في الأصل"[٤]. وهنا يجب الإشارة إلى مسألة غاية في الأهمية، وهي أن كلًا من كعت والسعيدي قد أكدا على أن حكام غانة الأوائل كانوا من البيض، وهذه الإشارة استغلها أحد الباحثين الغربيين وزعم أن حكام غانة الأوائل كانوا يهودًا[٥]، وهي مزاعم بعيدة كل البعد عن الواقع، ولا يوجد ما يدعمها في المصادر الإسلامية سواء السودانية أم غيرها[٦]، كما إنه لم يقدم ما يفيد من أين استقى هذا الرأي.

---

[١] المصدر السابق، ص١٣٥.

[٢] يعد الونقارة، والملنكي من بطون الماندنجو، وقد غلب عليهم العمل بالتجارة، فقد أشار كعت إلى أنهما من أصل واحد إلا أن ملنكي هو الجندي منهم، "ونكري هو من يتاجر ويسعى من أفقٍ إلى أفق". وقد هاجر الونقارة من وسط غانة واستقروا في المدن المحيطة بالنيجر، وهي مدن جني وتنبكت وجاو في زمن دولة صنغي. وأطلق على جماعة الونقارة في تنبكت اسم "ونقارة كوندا" Wangara Counda وكانوا أكثر سكان صنغي نشاطًا. وكان الدور الأكثر وضوحًا للونقارة هو قيامهم بدور الوكلاء التجاريين بين تجار مالي وتجار صنغي. انظر: تاريخ الفتاش، ص١٢٦؛ الحاج موسى أحمد كامرة: مرجع سابق، ص ١٧٠.
Lovejoy, Paul. E: The Role of the Wangara in the Economic Transformation of the Central Sudan in the Fifteenth and Sixteenth Centuries, the Journal of African History, Vol. 19, No. 2, (1978), p. 176.

[٣] تاريخ الفتاش، ص١٣٦.

[٤] ملوك السودان أهل سنغي، ص٩.

[5] Delafosse, Maurice: Op.Cit, pp. 207-226; Vol.II, pp. 22-25.

[٦] للمزيد حول مزاعم الدور اليهودي في بلاد السودان الغربي، ارجع إلى، بطل شعبان محمد غرياني: دور اليهود في التجارة عبر الصحراء خلال العصر الإسلامي بين الادعاء والحقيقة التاريخية، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، كلية الآداب، جامعة كفر الشيخ، المجلد٢٨، العدد٣، يناير ٢٠٢٣، ص ص٦٠٣-٦٥٢.

على أية حال، يُفهم من كلام كعت أن الأسرة الأولى البيضاء التي حكمت غانة قد بلغ عدد ملوكها قبل البعثة النبوية عشرون ملكًا، لكنه لم يحدد تاريخ بداية حكم هذه الأسرة.

وأيًا كان تاريخ ظهور الأسرة الأولى التي حكمت غانة، والذي لم تسعفنا المصادر في التعرف عليه، ينفرد كعت بالحديث عن اثنين من أشهر ملوك هذه الأسرة، الأول اسمه "كَيَمَع"، وضبط رسمها بكاف فياء وميم وعين مفتوحات، ومعناه في لغة وعكري (لغة أهل غانة): ملك الذهب، فاللقب يتكون من مقطعين: گي وهو ملك، ومَع، أي الذهب. ووصف كعت ملك غانة بأنه "سلطان عظيم"[١]، وأنه صار سلطانًا للمغرب كله بلا استثناء[٢]، والمقصود بالمغرب هنا أي المناطق الواقعة غربي مدينة تنبكت، وهي المنطقة الممتدة من حوض نهر السنغال إلى سواحل البحر المحيط (المحيط الأطلسي)[٣]. أما الملك الثاني، فاسمه كَنِسَعَيْ (بكاف مفتوحة فنون مكسورة وسين مهملة وعين مفتوحة قبل ياء ساكنة)، وهذا الملك كان آخر حكام هذه الأسرة وكان معاصرًا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم[٤].

في ضوء ذلك تعددت الآراء حول ظهور مملكة غانة ككيان سياسي منظم في بلاد السودان الغربي، يبرز من بين تلك الأراء رأيان. الأول منهما يشير إلى أن ظهور المملكة على هذا النحو من التنظيم كان خلال القرن الأول للميلاد. وأما الرأي الثاني، فيشير إلى أن غانة ظهرت وتبوأت مكان الصدارة في بلاد السودان الغربي خلال القرن الثالث الميلادي[٥].

وإذا كان صاحب الفتاش قد قَدَّرَ عدد ملوك الأسرة الأولى الذين حكموا مملكة غانة قبل البعثة النبوية بعشرين ملكًا، ولم يحدد عدد ملوك هذه الأسرة الذين حكموا هذه المملكة بعد البعثة النبوية، فإن السعيدي قَدَّرَ عدد ملوك هذه الأسرة سواء قبل البعثة أم بعدها بأربعة وأربعين ملكًا[٦]. ولهذا يمكن القول من خلال الجمع

---

[١] تاريخ الفتاش، ص١٣٤. انظر أيضًا حماه الله ولد السالم: مرجع سابق، ص٣٧٧، ٣٧٩.

[٢] كعت: مصدر سابق، ص١٣٤.

[٣] انظر هامش رقم (١) للمحقق حماه الله ولد السالم: تاريخ الفتاش، ص١٣٤.

[٤] كعت: مصدر سابق، ص١٣٥.

[٥] نور الدين شعباني: دور عائلة كيتا في مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها الخارجية بين القرنين الخامس والتاسع الهجريين/الحادي عشر والخامس عشر الميلاديين، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر ٢، ٢٠١٣، ص٦٨-٦٩.

[٦] ملوك السودان أهل سنغي، ص٩.

بين روايتي كعت والسعيدي، أن غانة حكمتها أسرة من البيض بلغ عدد ملوكها قبل البعثة النبوية عشرون ملكًا، وحكم من ملوك هذه الأسرة أربع وعشرون ملكًا بعد البعثة النبوية المطهرة.

وقد ظل هؤلاء الملوك البيض يحكمون غانة إلى قرب نهاية القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، حسب إشارة تاريخ الفتاش[١]. ومع نهاية هذا القرن نجحت أسرة من قبائل السوننك وهي أسرة سيسي فى طرد الأسرة البيضاء الحاكمة والاستيلاء على مقاليد السلطة والحكم، وتحكمت هذه الأسرة في منطقة وجادو[٢].

وبالنظر فيما أوردته المصادر الإسلامية، نجد أنها لم تقدم أية إشارات بخصوص الأحوال السياسية لمملكة غانة، باستثناء البكري الذي اختص هذا الجانب ببعض المعلومات، لكن البكري لم يتحدث عن الأسرة الأولى البيضاء التي حكمت غانة والتي ورد ذكرها في تاريخ الفتاش، وإنما حدثنا في أثناء تدوينه لكتاب المغرب في حدود عام ٤٦٠هـ أي في النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة، عن ملك غانة المدعو بسي (المتوفى عام ٤٥٥هـ/١٠٦٣م) والذي كان رغم وثنيته "مؤثرًا للعدل محبًا للمسلمين"[٣]، أيضًا حدثنا البكري عن خليفة بسي في الحكم وهو ابن أخته المدعو تنكامنين الذي وصفه بأنه "شديد الشوكة عظيم المملكة مهيب السلطان"[٤]، وذلك بفضل جيش غانة وتعداده الذي كان يصل وقت الاحتفال إلى مائتي ألف منهم ما يزيد عن الأربعين ألفًا من الرماة[٥]. وقد كانت عاصمة هذا الملك تتكون من مدينتين إحداهما سكنها المسلمون، والثانية وتسمى الغابة، كان يقطنها الملك ويحكم من خلالها بقية أرجاء مملكته[٦]. كما أشار البكري أيضًا إلى أن ملك غانة كان يعتمد في تسيير شئون مملكته على عدد من الوزراء والقادة والمستشارين، والكتاب، وصاحب بيت المال، الذين كان أغلبهم من المسلمين[٧]، وهذا وصف للجهاز الإداري للمملكة وإن كان مقتضبًا.

---

[١] تاريخ الفتاش، ص١٣٥.

[٢] حمد الجهيمي: دراسات في تاريخ مملكة غانا فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين (مرحلة انتشار الإسلام)، مجلس الثقافة العام، ليبيا، ٢٠٠٨، ص ٥٨.

[٣] المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص١٧٤.

[٤] المصدر السابق، ص١٧٥.

[٥] البكري: المغرب، ص ١٧٧.

[٦] المصدر السابق، نفس الصفحة.

Djibo, Hama: L'Islam au Soudan Central (Histoire de l'Islam au Niger du Viie au xixe) Siecle, Harmattan publications, Paris, 2007, pp. 31-32.

[٧] المغرب، ص١٧٥.

وقد قدم لنا كعت بعض الإشارات المهمة التي تفيد في رسم صورة ولو تقريبية عن النظم الإدارية والعسكرية لمملكة غانة لا سيما حديثه عن بعض رسوم القصر وعادات ملك غانة، وسوف نفصل في هذا الأمر في المحور التالي من هذا البحث.

ثم يفاجئنا كعت بالحديث عن نهاية عصر مملكة غانة، وإذا كان لم يستطع تحديد زمن وقوع ذلك تحديدًا دقيقًا فإنه اجتهد وحدد نهاية عهد الأسرة الأولى الحاكمة لغانة بأن انقراض دولتهم كان في القرن الأول من الهجرة النبوية[١]. كما اجتهد كعت في محاولة تفسير سبب اضمحلال غانة ونهاية نفوذها السياسي، بقوله: "ثم أفنى الله ملكهم وسلط أَرْذَالَهُم على كبرائهم من قومهم واستأصلوهم، وقتلوا جميع أولاد ملوكهم، حتى يبقروا بطون نسائهم ويخرجوا الأجنة ويقتلونها"[٢]. وهذا يعني من خلال ما طرحه كعت؛ ضعف ملوك غانة الأواخر ومن ثم خروج البعض عن طاعتهم، والراجح أنه يقصد هنا تسلط قبائل الصوصو على ملوك غانة وانتصارها عليهم، بعد أن كان الصوصو خاضعين لمملكة غانة.

ويسجل ابن خلدون (المتوفى عام ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) خبر انتهاء النفوذ السياسي لمملكة غانة، وفي ذلك يقول "ثم اضمحل ملك أصحاب غانية وتغلب عليهم أهل صوصو المجاورون لهم من أمم السودان واستعبدوهم وأصاروهم في جملتهم"[٣].

وبهذا يتضح اتفاق رواية كعت مع رواية ابن خلدون رغم عدم اطلاع كعت على تلك الرواية، ومن ثم تبرز أهمية الرواية الشفهية التي جمعها كعت عن مملكة غانة رغم أن هذه الروايات متأخرة وترجع للقرن العاشر للهجرة، بينما ترجع الرواية الشفهية التي جمعها ابن خلدون[٤] عن غانة إلى أواخر القرن الثامن للهجرة.

اتفق كعت أيضًا مع الروايات الشفهية المتداولة التي قدمت تفاصيل مهمة حول خبر قضاء قبائل الصوصو على النفوذ السياسي لمملكة غانة، وهذا يبين قيمة مرويات كعت بالنسبة لمملكة غانة، كما يؤكد قيمة الروايات الشفهية إذا أُحْسِنَ استغلالها، إذ تشير تلك الروايات إلى أن قبائل الصوصو هددت نفوذ غانة أشد تهديد،

---

[١] تاريخ الفتاش، ص١٣٥.

[٢] المصدر السابق، ص١٣٦.

[٣] العبر، ج٦، ص٢٠٠.

[٤] كان من بين مصادر معلومات ابن خلدون عن غانة شخص يدعى الشيخ عثمان وصفه صاحب العبر بأنه "فقيه أهل غانية" وكبيرهم علمًا ودينًا وشهرة، قدم مصر حاجًا سنة ٧٩٩هـ ولقيه ابن خلدون وروى على لسانه بعض الأخبار عن مملكة غانة. انظر العبر، ج٦، ص٢٠٠.

ونجحت في السيطرة على طرق التجارة والتحكم فيها، لاسيما الطرق الواقعة بالقرب من مناجم الذهب الغنية فيما بين نهري السنغال والنيجر. وقد تمكن الصوصو من هذا بفضل موقعهم في بلاد الكانتي الواقعة جنوب غانة، وبعيدًا عن هجمات البدو؛ لذلك كان من الطبيعي أن تؤول وراثة غانة إلى مملكة الصوصو التي تطورت في الفترة ما بين سنتي ٤٦٩هـ/١٠٧٦م حتى ٤٧٣هـ/١١٨٠م، وفي تلك السنة الأخيرة استولى على السلطة محارب حازم وقوي وهو ديارا كانتي Diara Kante[١]، ثم جاء الملك الأكثر شهرة بين الصوصو وهو سومانجورو كانتي Sumanguru Kante (٥٩٧ – ٦٣٣هـ/١٢٠٠– ١٢٣٥ م)، والذي استطاع غزو مملكة غانة، هذا الغزو الذي وضع النهاية لهذه المملكة ككيان سياسي، لا سيما بعد استيلاء الصوصو على العاصمة كومبى صالح سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م، وبهذا تم القضاء على غانة[٢].

ولذلك فلا عبرة بما ذهب إليه ديلافوس Maurice delafosse[٣]، وسايره البعض في ذلك[٤]، بأن مملكة غانة التي ازدهرت في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، كانت قد انهارت تحت غزو المرابطين وحروبهم التدميرية، وأن غانة تعرضت للنهب من قبل المرابطين عام ٤٦٩هـ/١٠٧٦م. وهي مزاعم مجانبة للصواب تمامًا، وأصبحت مزاعم الغزو المرابطي لغانة في عداد الأساطير[٥].

---

(1) Conrad, David: Sunjata A West African Epic of the Mande Peoples, Translated and Introduction by Conrad David, Hackett Publishing Company, USA, 2004, PP. 6-7.

(٢) العبر، ج٦، ص٢٠٠؛ Conrad, David: Op.cit, PP. 7-9.

(3) Delafosse, Maurice: Les Noires de L' Afrique, Paris, 1941, P. 40.

(٤) انظر على سبيل المثال:

Cuoq, Joseph: Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'Ouest, Geuthner, Paris, 1984, pp. 56, 60; عصمت عبد اللطيف دندش: أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١، ص٦٣–٦٦؛ صلاح بن محمد الحسيني: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، مجلة كلية اللغة العربية بإتاي البارود، جامعة الأزهر، العدد ٣٥، الإصدار الثاني، أكتوبر ١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م، ص٤٠٧٠.

(٥) هناك بعض الباحثين الذين شككوا في خبر الغزو المرابطي لمملكة غانة، وقدموا أدلة قاطعة على عدم صدق هذا الخبر، انظر على سبيل المثال:

Robert, Denise; Robert, S.; Devisse, Jean: Tegdaoust I: Researches sur Aoudaghost, Arts ET Métiers Graphiques, Paris, 1970, pp.24, 25.

أحمد الشكري: مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية، ص ٧٣، وما بعدها.

خامسًا- النظم الإدارية والعسكرية في مملكة غانة في ضوء كتاب تاريخ الفتاش:

من الصعوبة بمكان تقديم صورة متكاملة عن النظم الإدارية والعسكرية لمملكة غانة في ضوء ما أورده تاريخ الفتاش، لكن سنحاول في ضوء الإشارات المتاحة تقديم صورة ولو تقريبية عن تلك النظم.

نسجل بداية تأكيد كعت على النفوذ الكبير لمملكة غانة إبان عصر ازدهارها وقوتها، هذا النفوذ وتلك القوة التي حالت دون أن ينازع غانة أحد في سلطانها، وتلك حقيقة سجلها كعت بقولة عن مملكة مالي: "وأما سلطنة مَلِّ ما استقامت إلا بعد انقراض دولة كَيَمَعَ"(١)، أي أنه لم يكن بمقدور مالي أو غيرها من الكيانات والوحدات السياسية ببلاد السودان الظهور بقوة على مسرح الأحداث السياسية وفرض نفوذها إلا بضعف مملكة غانة. بل إن سلطان مالي كان كما يشير كعت أحد عبيد وخدام ووزراء ملك غانة(٢). ورغم أن صاحب الفتاش لم يتحدث إلا عن الأسرة الأولى التي حكمت غانة وانتهى حكمها خلال القرن الأول للهجرة، فإنه هنا يخطو خطوة كبيرة متجاوزًا عنصر الزمن، ويتحدث عن ظهور مالي كمملكة على حساب مملكة غانة أو كما يسميها كعت "دولة كيمع"، وهذا الحدث كان في القرن السابع للهجرة.

أيضًا يبرهن صاحب الفتاش على سعة نفوذ غانة وامتداد هذا النفوذ ليشمل جزءًا كبيرًا من إقليم السودان الغربي، من خلال تأكيده على فرض غانة نفوذها على "المغرب كله بلا استثناء مكان واحد منه"(٣). في ضوء ذلك يتبين لنا سعة نفوذ غانة وعظمة سلطانها، ولذلك وصف الفتاش ملكها بأنه "سلطان عظيم"(٤)، وبطبيعة الحال فإن هذا الوصف ينم عن ضرورة وجود نظام إداري وعسكري محكم وعلى درجة عالية من التنظيم لكي يستطيع المحافظة على حدود المملكة المتسعة الأرجاء.

وأول ملامح هذا النظام الإداري المحكم، **عاصمة المملكة**، فكان لابد من وجود عاصمة ذات موقع متميز يقوم الملك من خلالها بتصريف شئون مملكته، ويحيلنا وصف البكري لعاصمة غانة على وضعية سياسية مركزية، إذ يباشر ملك غانة سلطته من العاصمة بمساعدة عدد من الوزراء والموظفين الذين كان أغلبهم

(١) تاريخ الفتاش، ص١٣٥.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤) المصدر السابق، ص١٣٤.

مسلمين[١]. وقد أكد صاحب الفتاش على أهمية عاصمة غانة في عهد الملك كيمع وهي مدينة قُنْبِ (كُومْبِي صالح) التي كانت مقرًا للحكومة المركزية[٢].

ويورد صاحب الفتاش بلدة أخرى تدعى كرنكع كانت من البلدات المهمة في مملكة غانة، وقد اتخذها الملك كنسعي مسكنًا لأمه، وظلت محتفظة بوجودها وأهميتها؛ لذلك قال عنها كعت: "وهي الآن باقية عامرة"[٣].

لقد اقتصر صاحب الفتاش على تحديد اسم العاصمة فقط؛ بالرغم من أن البكري رسم وصفًا دقيقًا لعاصمة غانة خلال القرن الخامس للهجرة، التي تكونت من مدينتين كما سبق القول[٤] إحداهما يقطنها المسلمون حيث تميزت بحركة تجارية كبيرة ونشاط ثقافي ديني، وكان يوجد بالمدينة كثير من المساجد عددها اثنا عشر مسجدًا وبها عدد من الفقهاء والخطباء والأئمة والدعاة، وفي إحدى هذه المساجد كانوا يقيمون صلاة الجمعة وكان لها أئمة ومؤذنون وفقهاء وحملة علم[٥]. والمدينة الثانية تقع على بعد ستة أميال من المدينة الأولى ويطلق عليها "الغابة" وكانت مقراً للملك والقيادة وكان يقطنها الملك مع حاشيته وأتباعه[٦].

ويطلعنا البكري على مزيد من التفاصيل حول عاصمة الملك، وأنها كانت تضم القصر الملكي وبعض القباب، ويحيط بالقصر والقباب سور[٧]. وهذا لم يرد ذكره في تاريخ الفتاش.

وبخلاف العاصمة يقدم لنا صاحب الفتاش وصفًا **لبلاط ملك غانة ورسوم هذا البلاط** الذي يعبر عن مدى الأبهة والثراء الذي كانت عليه هذه المملكة، ومدى البذخ الذي كان عليه ملكها، ومن دلائل ذلك أنه كان يملك ألفًا من الخيل المربوطة في قصره، وكان الواحد من هذه الخيول "لا ينام إلا على زربية، ولا يربط إلا بحرير في عنقه وفي رجله"، وكان موكلًا لكل منهم ثلاثة من الخدم، واحد منهم يقوم بإطعامه، وواحد منهم بسقيه،

---

[١] المغرب في ذكر بلاد إفريقية، ص١٧٥؛ أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني، ص١١٤.

[٢] كعت: مصدر سابق، ص١٣٥.

[٣] المصدر السابق، نفس الصفحة.

[٤] المغرب، ص١٧٥؛ الإدريسي: مصدر سابق، ص٢٣؛ أبو الفداء: مصدر سابق، ص١٧٨.

[٥] البكري: المغرب، ص١٧٥.

[٦] المصدر السابق، نفس الصفحة؛ محمد السنوسي العمراوي: نظام الحكم والإدارة بمملكة صنغي في عهد الأساكي ٨٩٨ – ١٠٠٠هـ/١٤٩٣– ١٥٩١م، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠١١، ص١١.
Djibo, Hama: Op.Cit, pp. 31-32.

[٧] المغرب، ص١٧٥.

وواحد منهم موكل على تنظيف مكانه[١]. وتؤكد هذه الإشارات الاعتناء بخيل الملك؛ ومدى الاهتمام بهذه الخيول، وأنها كانت أحد مظاهر عظمة البلاط الملكي وأبهته. لقد أورد البكري أيضًا ما يفيد اعتناء ملك غانة بالخيل، وأنه يرابط حول قبة هذا الملك عشرة أفراس بثياب مذهبة[٢].

وبهذا اتفق صاحب الفتاش مع رواية البكري الخاصة باعتناء ملك غانة بالخيول، لكن رواية الفتاش أدق في تفاصيلها من رواية البكري، فالراجح أن ملك غانة كان يملك عددًا كبيرًا من الخيول، قدره كعت بالألف، بينما قدره البكري بعشرة خيول وهذا التقدير الأخير لا يتناسب مع أهمية الخيول بالنسبة لملك غانة، فقد شكلت الخيول مصدر قوته، لأنها كانت تمنح جيش غانة عنصر السرعة والمباغتة في حروبه، وكانت أثمانها غالية[٣]. وهذا يفسر سبب الاعتناء الشديد بها.

يمدنا صاحب الفتاش أيضًا ببعض الأخبار الخاصة بالرسوم والتقاليد المتبعة لملك غانة في بلاطه، منها عادة يومية لهذا الملك، بأنه كان يخرج كل ليلة يسمر مع قومه، وكان يأمر بجمع ألف حزمة من الحطب، أو ألف شُقَّة من الكتان وفقًا لبعض رواة الخبر، ويجمعونها في باب دار مملكته، ويوقد تحتها النار. وكان هذا الملك عادة ما يجلس على منصة مصنوعة من الذهب الأحمر[٤].

ثم بعد جلوسه يأمر بعشرة آلاف من موائد الطعام، يأكل منها قومه وهو لا يأكل، وحيثما انتهوا من الأكل انصرف ودخل إلى قصره[٥]. ويظهر أن عادات ملوك بلاد السودان الغربي وتقاليدهم لم تكن تسمح بالأكل مع عامتهم بدليل ما ذكره العمري (المتوفى عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) عن ملك مالي منسا موسى أثناء مقامه بمصر في طريقه للحج[٦].

وهناك إحدى العادات والمراسم الخاصة بالبلاط الغاني أشار إليها البكري، وهي أن العادة جرت أنه من يدخل على الملك يحييه تحية خاصة بأن يجثو على ركبتيه وينثر التراب على رأسه، وقد كان المسلمون معفيين

---

[١] كعت: مصدر سابق، ص١٣٥.

[٢] المغرب، ص١٧٦؛ المسالك والممالك، ص٨٧٣.

[٣] الزهري: كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صـــادق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ص١٢٥-١٢٦؛ الإدريســـى: مصدر سابق، ص٢٣.

[٤] تاريخ الفتاش، ص١٣٦.

[٥] كعت: مصدر سابق، ص١٣٦.

[٦] مسالك الأبصار، ج٤، ص٥٥.

من هذا التقليد[١]. لكن إذا كان صاحب الفتاش لم يتحدث عن وجود هذه العادة في مملكة غانة، فقد أكد وجودها في مملكة صُنغي[٢]. وبالتوفيق بين الروايتين يتبين أن هذه العادة عادة سودانية قديمة ظلت موجودة منذ عصر مملكة غانة واستمرت حتى عصر مملكة صُنغي الإسلامية.

لم يورد الفتاش أخبارًا تتعلق **بنظام وراثة العرش في غانة** رغم ما ذكره البكري عن توريث ابن الأخت والذي كان هو الطريقة السائدة والمتبعة لديهم، ومثال على ذلك ما حدث فى هذه المملكة بعد وفاة الملك (بسى) الذى ذهب بصره، وأصبح لا يرى شيئًا، فأخفى الوزراء والقادة أمره عن الرعية؛ فكان يوهم الناس بأنه مبصرًا، حيث يقول رأيه فى الأشياء التى تعرض عليه، ويذكر ما هو الجيد والحسن، وما هو الردىء، فتم توريث العرش لابن أخته (تنكامنين) الذى تولى العرش سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣ م. وفى ذلك يقول البكرى: "سيرتهم ومذهبهم أن المُلْكَ لا يكون إلا فى ابن أخت الملك[٣] لأنه لا يشك فيه أنه ابن أخته وهو يشك فى ابنه ولا يقطع على صحة اتصاله به"[٤].

أما بالنسبة **للجهاز الإداري** فلا نعلم عنه الكثير في ضوء ما يطرحه تاريخ الفتاش، باستثناء الإشارة المقتضبة عن وجود منصب **الوزير**، حينما أشار صاحب الفتاش إلى أن ملك مالي كان تابعًا لملك غانة، وكان أحد وزراءه[٥]. ويستشف من تلك الإشارة أن المقاطعات والأقاليم والسلطنات التي كانت تابعة لمملكة غانة كان حكامها بمثابة وزراء تنفيذ لملك غانة ورهن إشارته ويأتمرون بأوامره ويظهر ذلك جليًا في وصف كعت لملك مالي بأنه كان خادمًا لملك غانة[٦].

---

[١] المغرب، ص١٧٦.

[٢] تاريخ الفتاش، ص٩١.

[٣] لقد أضعف انتشار الإسلام فى هذه المملكة وبلاد السودان الغربى بشكل كبير ذلك النظام المتبع فى التوريث، وأصبح الملوك يورثون العرش لأكبر أبنائهم الذكور، إلا أننا نجد بعض المدن والممالك الصغيرة مازالت تسير وتتبع نظام توريث ابن الأخت، كما ذكر لنا ذلك الرحالة ابن بطوطة فى معرض حديثه عن سلطنة تكدا. ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق وتقديم عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٧، ج٤، ص٢٨٨.

[٤] المغرب، ص١٧٥؛ محمد السنوسي: مرجع سابق، ص١٣، ١٤.

Hodgkin,T: Islam and National Movement in West Africa, Conference On African History and Archaeology, London,1961, p.28; Davidson., B: Old Africa Rediscovered, London,1959, pp. 88-95.

[٥] كعت: مصدر سابق، ص١٣٤.

[٦] المصدر السابق، نفس الصفحة.

في المقابل يقدم لنا البكري قبل ما يقرب من خمسة قرون من تدوين كعت لمؤلفه، صورة أكثر وضوحًا للجهاز الإداري لغانة، فالبلاد كانت مقسمة إلى عدة أقاليم وولايات تتبع الحكومة المركزية فى العاصمة التى يرأسها الملك، ويساعده عدد من الوزراء والقادة والمستشارين والكتاب، أغلبهم من المسلمين، فهؤلاء المسلمون تولى بعضهم مناصب إدارية رفيعة فكان منهم الوزراء والمسئول عن الشئون المالية ومسئول الترجمة وذلك راجع لمعرفتهم الكتابة وأمور الدواوين والشئون الإدارية وبعض اللغات، وكذلك علاقتهم الحسنة مع الملوك التى كان أساسها الصدق والأمانة وحسن المعاملة، ويضاف إلى ذلك خبرتهم فى شئون السياسة، والنجاحات التى حققها التجار المسلمون فى تكوين ثروات طائلة، وفى جلب احتياجات المملكة من بضائع[١].

ووفقًا للبكري والإدريسي تمتعت المملكة بانتشار الأمن والعدل وقلة الظلم، وقام العديد من ملوكها على إرساء العدل وإحقاق الحقوق فكانوا يعقدون مجالس للنظر في شكاوى الرعية لرد الظلم والتعسف عنهم، ويحضر عادةً تلك المجالس الوزراء والأمراء والقادة وكبار الموظفين[٢]. والراجح أن دخول الإسلام وانتشاره في مملكة غانة دعَّمَ ما كان سائدًا وموجودًا عند الملوك والرعية في حب العدل وقلة الظلم[٣].

ولإقرار هذا العدل يخبرنا البكري أن ملك غانة أنشأ عددًا من السجون في العاصمة، وإذا سجن أحد المتهمين في تلك السجون انقطع عن الناس خبره[٤]. والغريب أنه رغم حديث البكري والإدريسي عن مسألة حرص ملوك غانة على إقرار العدل، وجلوسهم لسماع شكاوى الرعية، وتأكيد ابن بطوطة المتوفى عام (٧٧٩هـ/١٣٧٧م) على استمرار هذه المسألة في مملكة مالي الإسلامية أثناء زيارته لها[٥] إلا أن صاحب الفتاش لم يتوقف عند هذه العادة الحسنة، رغم تأكيده على وجودها في عصر مملكة صُنغي وحرص بعض ملوكها من الأساكي عليها ولا سيما الأسكيا محمد الأول[٦]، وهذا يبرهن على اهتمامه البالغ بإبراز محاسن الأسكيا محمد خاصة وعصر الأساكي عامة، على حساب ما سبقه من عصور.

---

[١] المغرب، ص١٧٥؛ محمد السنوسي: مرجع سابق، ص١٦.

[٢] المغرب، ص١٧٥ – ١٧٦؛ نزهة المشتاق، ص٢٣– ٢٤.

[٣] البكري: المغرب، ص١٧٩؛ مادينا لي تال: تدهور إمبراطورية مالي، تاريخ أفريقيا العام، لبنان، اليونسكو، ط٢، ١٩٩٧، ج٤، ص١٨٩؛ محمد السنوسي: مرجع سابق، ص١٦.

[٤] المغرب، ص١٧٥.

[٥] تحفة النظار، ج٤، ص٢٨٢.

[٦] انظر تاريخ الفتاش، ص٨٩، ٩١، ٩٣، ٩٥، ٩٩، ١٠٠.

وفيما يتعلق **بالنظام العسكري**، يقدم صاحب الفتاش ما يشير إلى امتلاك ملك غانة لجيشٍ كبير، استطاع أن يستخدمه في تأسيس مملكة مترامية الأطراف، وكانت فرقة الفرسان التي تعتمد على الخيول أهم فرق هذا الجيش، فالواضح أن غانة كانت تمتلك جيشًا قويًا تمكنت بفضله من مد حدودها إلى أقصى الغرب حتى المحيط الأطلسي كما أسلفنا. ويظهر أيضًا أن ملك غانة كان حريصًا على الاهتمام بالجيش كأحد أهم مصادر قوته، وليس اعتناء هذا الملك بالخيول واهتمامه بالحصول على الأعداد الكثيرة منها ورعايتها أشد الرعاية إلا دليلًا على عناية ملك غانة بالجيش وأدواته الحربية والتي كانت الخيول أحد أهم ركائزها[١].

اتفق ما أورده صاحب الفتاش مع المصادر المغربية التي لم يطلع عليها، على اهتمام ملوك غانة بالتنظيمات العسكرية والحربية التي مكنت المملكة من بسط سيطرتها على عدة أقاليم وممالك مجاورة لها. كما أكدت تميز جيش غانة بتسليح جيد يفوق تسليح جيوش الممالك الأخرى، لاسيما من السيوف الحديدية والرماح والدبابيس. واهتم ملوكها بالخيول اهتمامًا كبيرًا كما سبق القول[٢].

وبفضل امتلاك غانة لجيش قوي، حققت انتصارات كثيرة، ويذكر لنا البكرى معلومات عن ملك غانة تنكامنين الذي كان شديد الشوكة مهيب السلطان[٣]، وكان تعداد جيشه يصل وقت الاحتفال إلى مائتي ألف[٤]، وهو رقم مبالغ فيه، هذا في حين لم يحدد الإدريسي عدد جيش غانة، لكنه أكد امتلاكها عددًا كبيرًا من الجند[٥].

غير أن إشارة البكري بأن ملك غانة كان يحشد مثل هذا العدد الكبير من الجند والرماة حالة الاحتفال، إنما يعبر عن مدى الزهو والفخر بالقوة الحربية، وعلى تأثير جيش غانة على وضع المملكة، فمن المرجح أن احتفالات بهذه الكيفية كان ملك غانة يهدف من خلالها إرهاب الممالك والإمارات المحيطة بالمملكة. والراجح أن هذا التقدير لعدد جيش غانة والذي أورده البكري مبالغ فيه، لاسيما أن القوة العسكرية الغانية الموجودة بالعاصمة كان هدفها فقط هو استيفاء الغرض الخاص بحماية هذه العاصمة والمراكز التجارية والطرق الرابطة

---

(١) المصدر السابق، ص١٣٤- ١٣٦.

(٢) البكري: المغرب، ص١٧٥؛ الزهري: مصدر سابق، ص١٢٥-١٢٦؛ الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، طبعة ليدن، بريل، ١٨٦٣، ص ٧.

(٣) المغرب، ص١٧٥.

(٤) المصدر السابق، ص ١٧٧ .

(٥) المغرب وأرض السودان ومصر، ص ٧.

بينهما، والمحطة الجنوبية (غيارو)[١] التي كانت تستقبل الذهب، أما المناطق الهامشية أو القليلة الأهمية اقتصاديًا، فلم تكن تهم ملك غانة بنفس القدر. ويتجسد هذا الأمر بوضوح في السياسة الحربية التي اتبعتها مملكة غانة وهي في أوج قوتها خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ففي هذا القرن نجحت في السيطرة على مدينة أودغست[٢] بعد عام ٣٦٠هـ/٩٧٠م في الشمال وعلى مناجم الذهب في الجنوب، وبالرغم من هذا نلاحظ عدم اكتراثها بالحروب الجهادية التي كانت تقوم بها إمارة سلي[٣] المسلمة الواقعة على الحدود الشمالية الغربية لمملكة غانة[٤]، بالرغم مما كان يمثله هذا الأمر من تهديدٍ بالنسبة لها.

هكذا جاءت إشارات صاحب الفتاش حول مملكة غانة على درجة كبيرة من الأهمية وإن كانت مقتضبة في بعض تفاصيلها مقارنة بالمصادر المغربية، واعتمدت تلك الإشارات بصورة كلية على الروايات الشفهية التي اتفقت في كثير من تفاصيلها مع المصادر المغربية، لكن صاحب الفتاش لم يستفد من المصادر المغربية التي دُونت قبله وأوردت بعض الأخبار المهمة عن غانة، ولا سيما كتابات كل من البكري، والإدريسي اللذين قدما وصفًا في غاية الأهمية لمملكة غانة خلال القرنين الخامس والسادس للهجرة. فما هي حدود مسئولية صاحب الفتاش عن هذا القصور؟

سادسًا- مملكة غانة في تاريخ الفتاش، وقصور الرؤية التاريخية:

---

[١] حدد البكري المسافة بين غانة ومدينة غيارو بمسيرة ثمانية عشر يومًا، انظر: المغرب، ص ١٧٦، وحددها الإدريسي بإحدى عشرة مرحلة، انظر: المغرب وأرض السودان، ص ٩.

[٢] أوْدَغَسْت Awdaghust مدينة قديمة تقع في جنوب غرب الصحراء الغربية التي هي جزء من الصحراء الكبرى، بين صحراء لمتونة وبلاد السودان. كما تقع بين خطي طول ١٠' ، ١١'غربا, وخطي عرض ١٨' ، ١٩' شمالاً. وهي وادي عامر بين جبلين، ولذلك ذكر ابن حوقل الذي زارها في عام ٣٤٠هـ /٩٥١م " أنها أشبه بلاد الله بمكة المكرمة " انظر: صورة الأرض، ص ٩٢؛ اليعقوبي: البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢، ص ١٩٩؛ ابن حوقل: مصدر سابق، ص ٩٢؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، المجلد الأول، ص ٢٧٧، ٢٧٨؛ حسين مراد: دولة أودغست الإسلامية من القرن الثاني إلى الخامس للهجرة/ القرن الثامن إلى الحادي عشر للميلاد، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد ٤٦، ٢٠٠٨، ص ١٠٨، ١٠٩. وحدد صاحب الاستبصار المسافة بين غانة وأودغست بعشرين مرحلة، انظر مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشئون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، ١٩٨٣، ص ٢١٦.

[٣] تقع إمارة سلي على ضفة نهر السنغال في الشمال، وهي مدينة حاضرة وبها مجتمع السودان، ومتاجر صالحة، وأهلها أهل نجدة، وكانت تابعة لإمارة التكرور، البكري: المغرب، ص ١٧٢؛ الإدريسي: المغرب وأرض السودان، ص ٣.

[٤] البكري: المغرب، ص ١٧٦؛ أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني، ص ١١٥.

أدرك صاحب الفتاش أن الأخبار التي أوردها عن مملكة غانة أخبار قليلة جدًا، ولذا حاول معالجة هذا القصور بقوله "وقد بَعُدَ زمانهم ومكانهم علينا، ولا يتأتى لمؤرخ في هذا اليوم أن يأتي بصحة شيء من أمورهم يقطع بها، ولم يتقدم لهم تاريخ؛ فيعتمد عليه"[١].

وكان بإمكان صاحب الفتاش تجاوز هذه المشكلة بالاطلاع على المؤلفات التي أُلفت قبله ولا سيما المغربية التي أوردت بعض التفاصيل المهمة حول مملكة غانة، لكنه لم يكلف نفسه قليلًا من الجهد للاطلاع على المصادر المغربية التي أرخت لانتشار الإسلام في مملكة غانة، نتيجة اهتمامه الكبير بالحديث عن مملكة صُنغي في عصر الأساكي، ولا سيما في عهد أسكيا محمد الأول مؤسس هذه الأسرة، وكان من الممكن اقتصار صاحب الفتاش على تلك الحقبة بدلًا من إهماله الاطلاع على المصادر المدونة، واكتفائه بالحديث عن مملكة غانة من خلال الروايات الشفهية المتداولة رغم أهمية هذه الروايات كما سبق البيان، وهذا الخطأ لم يقع فيه السعيدي الذي ركز حديثه على مملكة صُنغي، ولم يختص مملكة غانة بأية أخبار باستثناء خبر واحد عن أصل ملوك غانة، وهذا يتطابق مع عنوان كتابه "ملوك السودان أهل سنغي" أي أنه كان ينوي التأريخ لمملكة صُنغي فقط[٢].

وهنا نتساءل، هل كان هناك صعوبة في حصول صاحب الفتاش على المصادر المشرقية والمغربية التي أرخت لممالك السودان الغربي، ولمملكة غانة على وجه الخصوص؟

في الواقع لم تكن هناك أية صعوبة في الحصول على تلك المصادر بل نرجح وفرة بعض المخطوطات منها في بلاد السودان الغربي، ودليل ذلك ما أوردته المصادر عن حرص منسا موسى ملك مالي على شراء الكثير من مخطوطات الكتب المشرقية والمغربية وحملها معه إلى بلاده حينما جاء للمشرق في رحلته للحج عام ٧٢٤هـ، وكذلك فعل أسكيا الحاج محمد الأول أثناء رحلته للحج عام ٩٠٢هـ، والمفارقة أن هذا الأسكيا اختار عددًا من العلماء ليرافقوه في تلك الرحلة، كان من بينهم أبرز مؤلفي الفتاش وهو محمود كعت الأول، ولابد أنه اطلع على الكثير من المؤلفات المشرقية والمغربية خلال تلك الرحلة، أضف إلى ذلك تلك الرواية التي سجلها الحسن الوزان المتوفى عام (٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م) أثناء زيارته لمملكة صُنغي في عهد الأسكيا محمد الأول، وهي إقبال أهل هذه المملكة على شراء المخطوطات القادمة إليهم من البلدان الإسلامية سواء في المشرق أم

---

[١] الفتاش، ص١٣٦.

[٢] انظر: ملوك السودان أهل سنغي، ص٩.

المغرب، وكانت تجارة هذه المخطوطات حسب وصف الوزان تدر أرباحًا تفوق أرباح سائر السلع[١]. بل ويذكر لنا أحمد بابا التنبكتي السوداني (المتوفى عام ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م) أهمية رحلة الحج فيما حازه علماء السودان الغربي من كتب أهداها إليهم العلماء المشارقة والمغاربة الذين التقوا بهم في طريق حجهم، ومنهم الحاج أحمد، ومحمود، والعاقب وأبو بكر، وجميعهم أبناء أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٤٢هـ/١٥٣٦م)[٢].

كذلك لم تكن بلاد المغرب الإسلامي بثقافاتها ومؤلفاتها غريبة على أهل السودان الغربي، فالصلات التجارية بين الطرفين تركت آثارها البالغة على مجمل العلاقات بينهما، بل إن الإسلام تسرب سلميًا من المغرب إلى السودان الغربي بفضل النشاط التجاري والهجرات[٣]، ومن ثم نرجح وصول الكثير من المخطوطات المغربية المهمة إلى بلاد السودان الغربي ولا سيما مؤلفات البكري، والإدريسي، وابن بطوطة، وابن خلدون؛ الذين اهتموا بالتأريخ لتلك البلاد. يرجح هذا القول أن منسا موسى ملك مالي أرسل الإمام القاضي الذي تولى خطة الكتابة لهذا المنسا فاشتهر "بكاتب موسى" إلى فاس لتلقي العلم والاطلاع على المؤلفات المغربية[٤]، كما إن ابن خلدون ألف كتابه في حدود عام ٧٩٠هـ، وأهدى نسخة منه إلى السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن المريني (٧٦٧- ٧٧٤هـ/١٣٦٦-١٣٧٢م)[٥].

بل إن كعت نفسه يؤكد أن الأسكيا داوود ملك صُنغي اتخذ خزائن للكتب، فكان له نساخون ينسخون له الكتب الواردة من المشرق والمغرب، وكان يهادي بها العلماء[٦].

من ثم ننتهي إلى أن صاحب الفتاش لم يعطِ الاهتمام الكافي لما كتبه المغاربة والمشارقة بخصوص مملكة غانة الإسلامية، واعتمد فقط على ما توافر لديه من روايات شفهية. فكتاب البكري ألف عام ٤٦٠هـ، وبدأ محمود كعت الأول تأليف الفتاش في عام ٩٢٥هـ أي أن الفترة بين تأليف الكتابين تقارب الخمسة قرون. وكذلك

---

[١] وصف أفريقيا، ترجمه محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٣، ج٢، ص١٦٧؛ سوزي أباظة: عائلة أقيت وإسهاماتها الثقافية في تنبكت، مجلة الدراسات الأفريقية، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، العدد٢٦، ٢٠٠٤، ص١٥٥.

[٢] نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م، ج١، ص١٣٧، ١٤١، ١٤٢، ٣٥٣، ؛ سوزي أباظة: عائلة أقيت، ص١٥٦.

[٣] حسين مراد: الصلات، ص٣٩٣، ٣٩٤.

[٤] السعيدي: مصدر سابق، ص٥٧.

[٥] ابن خلدون: مصدر سابق، ج١، ص٦.

[٦] تاريخ الفتاش، ص٢٠٤.

الحال بالنسبة لكتاب الإدريسي الذي مر على تأليفه ما يقارب الأربعة قرون حينما شرع محمود كعت الأول في تأليف الفتاش، وهي فترة كافية جدًا لانتشار الكتابين وتداولهما، ومن ثم فإن مؤلف الفتاش مسئول عن عدم الاطلاع على هذه المؤلفات والاستفادة منها في تأريخه لمملكة غانة.

يدعم صحة هذا الاستنتاج أن أحمد بابا التنبكتي السوداني مؤلف "نيل الابتهاج بتطريز الديباج"، والذي يعد موسوعة بالغة الأهمية في تراجم فقهاء المالكية، قام بتأليف هذا الكتاب في نفس الفترة التي تم فيها تأليف تاريخ الفتاش، واعتمد أحمد بابا في تأليف كتابه على كثير من المصنفات الجغرافية والتاريخية والفقهية وكتب الطبقات والتراجم المشرقية والمغربية[١] مستفيدًا من فترة وجوده بالمغرب في مطلع القرن الحادي عشر للهجرة، واستفاد أيضًا من المخطوطات التي كانت بحوزته في مكتبته الخاصة بمدينة تنبكت، والتي بلغت ستة عشر مائة مجلدًا، أي ألف وستمائة مجلد، ورغم ذلك عَدَّ نفسه "أقل عشيرته كتبًا"[٢].

إن اختيار أحمد بابا لهذه المؤلفات، واتجاهه للأخذ عنها يوضح لنا مدى تقديره لعملية التأليف، وإدراكه لأهمية الكتب المتخصصة التي أفادته في هذا الجانب؛ فتلك المصنفات تحوى كثيرًا من الأخبار التاريخية.

---

[١] اطلع أحمد بابا على كتاب ابن الفرضي (ت٤٠٣هـ/ ١٠١٣م): تاريخ علماء الأندلس، وكتاب: ترتيب المدارك وتقريب المسالك فى معرفة أعيان علماء مذهب مالك، للقاضى عياض (ت ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م)، وكتاب: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية، للغبرينى (ت ٧١٤هـ/ ١٣١٥ م)، وكتاب الذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م): العبر فى خبر من غبر، وكتاب العمري (٧٤٩هـ/١٣٤٩م): مسالك الأبصار، وكتاب الصفدي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م): الوافي بالوفيات، وكتاب تاريخ المدينة لأبي= =عبد الله بن فرحون (ت ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م)، وكتاب: الإحاطة فى أخبار غرناطة، للسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، وكتاب: الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب، لبرهان الدين بن فرحون (ت٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م)، وكتاب ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦ م): العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، وكتابات ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م): رفع الإصر عن قضاة مصر، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، وإنباء الغمر بأبناء العمر، وكتاب ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م): النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، وكتاب السخاوي (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، وكتاب السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م): حسن الحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، وكتاب: جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، لابن القاضى (ت١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م). وغير ذلك الكثير من المصادر التي اعتمد عليها أحمد بابا التنبكتي.

انظر أحمد بابا: مصدر سابق، ج١ ص ١٠٣، ١٠٧، ١٠٨، ١١٩، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ٣٦٣، ٣٦٤، ؛ ج٢، ص٦٤، ٦٥، ١٢٥، ١٥٠، ١٥١، ١٥٤، ٢٤٥، ٢٤٦.

[٢] الإفراني: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، مكناس، ط١، ١٩٩٨، ص١٧١.

كما إن المؤرخ السوداني عبد الرحمن السعيدي، صاحب كتاب "ملوك السودان أهل سنغي"، المصدر التاريخي السوداني الذي تم تأليفه في نفس الفترة التي تم فيها تأليف كتاب تاريخ الفتاش –فقد كان معاصرًا لمحمود كعت الثالث– قد اطلع على بعض المصادر المشرقية والمغربية في مؤلفه، وذلك حينما قارن بين رحلة حج منسا موسى ملك مالي، ورحلة حج أسكيا محمد الأول ملك صُنغي، حيث اطلع على أخبار الرحلة الحجية لمنسا موسى من المصادر المشرقية، بدليل قوله "فورخ أهل المشرق مجيئه ذلك وتعجبوا من قوته في ملكه ولكن ما وصفوه بالجود والكرم[١]؛ لأنه ما تصدق في الحرمين مع كثرة ملكه إلا بعشرين ألفًا ذهبًا بنسبة ما تصدق به أسكيا الحاج محمد فيها وهو مائة ألف ذهبًا"[٢]. كما إن السعيدي اعتمد في بعض رواياته على بعض المصادر المغربية، مثل كتاب تحفة النظار لابن بطوطة[٣]، وكتاب الحلل الموشية[٤] في ذكر الأخبار المراكشية[٥]. كما اعتمد أيضًا على كتاب العبر لابن خلدون[٦]. وهذا يبرهن على وفرة الكثير من المصادر المشرقية والمغربية في بلاد السودان الغربي، واستفادة المؤلفين السودانيين من الاطلاع عليها، وهذا لم يفعله صاحب الفتاش.

---

[١] هذا حكم مخالف للواقع؛ لأن المصادر المشرقية والمغربية على العكس مما ذكره السعيدي، وصفت منسا موسى بالجود، وتعجبت من كثرة إنفاقه للذهب؛ انظر على سبيل المثال، ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٩٨، ج١٨، ص٢٤٠؛ ابن خلدون: مصدر سابق، ج٦، ص٢٠١؛ المقريزي: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، حققه جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠، ص١٤٢– ١٤٣. والغريب أن السعيدي ناقض نفسه حينما ذكر أن منسا موسى رافقه في رحلته خمسمائة عبد بيد كل واحد منهم عصا من الذهب يزن خمسمائة مثقال. انظر: ملوك السودان، ص٧؛ لكن يبدو أن السعيدي ساير صاحب الفتاش في انحيازه لعهد الأسكيا محمد الأول على حساب غيره من العهود.

[٢] انظر: ملوك السودان أهل سنغي، ص٧.

[٣] المصدر السابق، ص٨.

[٤] وهو لمؤلف مراكشي مجهول من أهل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

[٥] انظر: ملوك السودان أهل سنغي، ص٢٥، ٣٥.

[٦] المصدر السابق، ص٢٥، ٢٦.

خاتمة:

وضح من خلال الدراسة أن كتاب تاريخ الفتاش ألفه ثلاثة مؤرخين من أسرة آل كعت، وأن الكتاب لم يؤلفه مؤلف واحد كما هو مشهور عند كثير من المتخصصين وهو محمود كعت المتوفى عام ١٠٠٢هـ، فالكتاب امتدت أحداثه حتى عام ١٠٧٥هـ.

تبين من خلال الدراسة أن النقد الذي وجه لكتاب تاريخ الفتاش نتيجة إقحام نبوءة أحمدو لوبو على النص الأصلي للكتاب، لا تضعف من قيمة مرويات هذا الكتاب سواء فيما يتعلق بمملكة غانة أم بممالك السودان الغربي ككل، فهذه النبوءة كان الهدف منها فقط إعطاء الشرعية لحكم كل من الأسكيا محمد الأول ملك صُنغي، والشيخ أحمدو لوبو حاكم ماسينا، وخلاف ذلك فالنصوص الواردة بالكتاب لها أهمية بالغة في التأريخ للممالك الإسلامية في بلاد السودان الغربي.

أكدت الدراسة أهمية تاريخ الفتاش في التأريخ للحياة السياسية لممكة غانة، رغم اعتماد الكتاب بصورة رئيسة على الروايات الشفهية، ورغم أن أغلب اهتمام الكتاب كان منصبًا على تاريخ مملكة صُنغي على حساب كل من مملكتي غانة ومالي، لأن هذا الكتاب يعد أحد مصدرين تاريخيين سودانيين اثنين فقط تم تأليفهما عن الممالك الإسلامية ببلاد السودان الغربي.

أوضحت الدراسة اتفاق بعض الروايات التي أوردها تاريخ الفتاش –فيما يتعلق بالأحوال السياسية لمملكة غانة– مع ما أوردته المصادر المغربية ولا سيما مؤلفات كل من البكري والإدريسي، وابن خلدون، بالرغم من عدم اطلاعه على هذه المصادر، وهذا يعطي قيمة كبرى للروايات الشفهية التي اعتمد عليها صاحب الفتاش في التأريخ لمملكة غانة، ويؤكد ذلك الاستنتاج أن المصادر المغربية المذكورة اعتمد أصحابها على روايات شفهية موثوقة من أهل السودان الغربي، وكانت تلك الروايات –لا سيما روايات البكري والإدريسي– معاصرة لمملكة غانة؛ من ثم فإن روايات الفتاش رغم بعدها زمنيًا عن عصر مملكة غانة إلا أنها تتفق في بعض جوانبها مع الروايات الشفهية التي عاصرت تلك المملكة.

وبالرغم من ذلك برهنت الدراسة على قصور الرؤية التاريخية عند صاحب الفتاش فيما يخص التأريخ لمملكة غانة الإسلامية، ولا سيما حول انتشار الإسلام بها وأحوالها السياسية، ومرد ذلك إلى أن صاحب الفتاش وجه جل اهتمامه نحو التأريخ لعصر الأساكي ملوك صُنغي وعلى وجه الخصوص مؤسس الأسرة الأسكيا محمد الأول، والطعن في شخص سلفه سني علي، وفي ضوء انشغال صاحب الفتاش بهذا الهدف فقد أغفل

الإفادة مما ورد في المصادر الإسلامية جغرافية وتاريخية عن مملكة غانة –برغم ندرته– ولم يطلع على أي من هذه المصادر، واعتمدت كتاباته عن هذه المملكة وتاريخها على الروايات الشفهية.

وإذا كان مؤلف الفتاش لم يجد مصدرًا تاريخيًا سودانيًا يعتمد عليه في التأريخ لغانة، فإنه لم يهتم بالاطلاع على المصادر الإسلامية المشرقية والمغربية، ولكن تبقى للكتاب قيمته في أنه يمثل التدوين التاريخي المحلي الأقدم لتاريخ مملكة غانة، ويشكل كل من كتاب تاريخ الفتاش وكتاب "ملوك السودان" لعبد الرحمن السعيدي، المصدرين التاريخيين السودانيين الوحيدين اللذين أرخا لمملكة غانة الإسلامية.

كشفت الدراسة أن الفتاش أورد بعض الأخبار التي تسهم في رسم صورة تقريبية للأحوال السياسية لمملكة غانة؛ فأرخ لهذه المملكة قبل انتشار الإسلام بها، ولملوكها الأوائل الذين حكموها قبل البعثة النبوية.

ورغم أن تاريخ الفتاش شأنه شأن غيره من المصادر التاريخية لم يقدم لنا ما يعين في تتبع التطور السياسي لمملكة غانة، إلا أنه أورد بعض المعلومات المهمة حول رسوم القصر وعادات الملك، وبعض ملامح النظام الإداري. أما عن سقوط غانة فقد تبين من خلال ما طرحه الفتاش أنها سقطت بسبب ضعف ملوك غانة الأواخر ومن ثم خروج البعض عن طاعتهم، وكان يقصد بذلك تسلط قبائل الصوصو على ملوك غانة وانتصارهم عليهم، متفقًا بذلك مع ما ورد في المصادر المغربية.

الملاحق

خريطة توضح حدود مملكة غانة والممالك المحيطة بها[1]

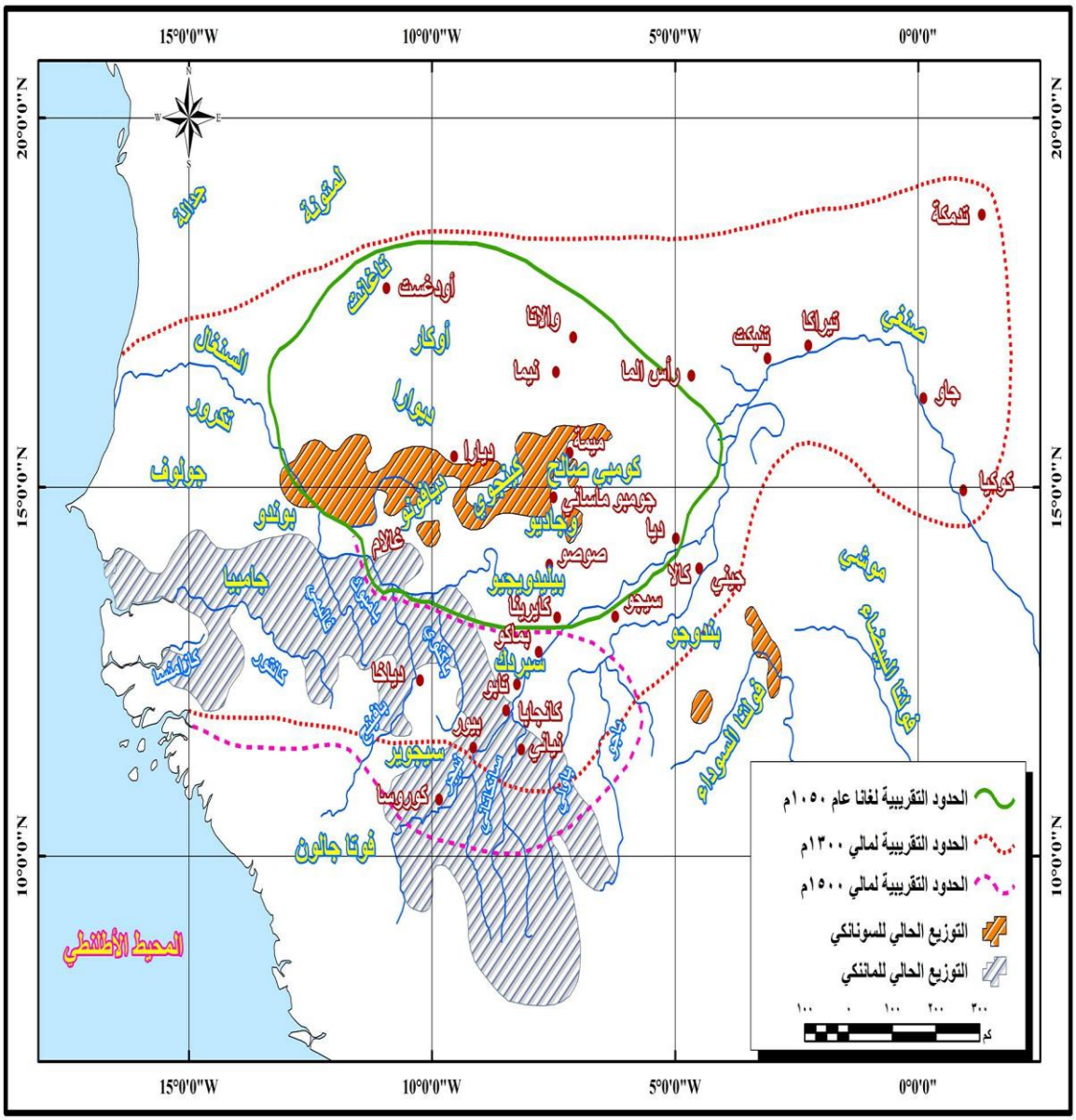

[1] من إعداد الباحث بتصرف، اعتمادًا على:

Levtzion, Nehmia: Ancient Ghana and Mali, Africana Publishing Company, New York, 1980, P. 2.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا- المصادر العربية:

أحمد بابا (أحمد بن أحمد بن عمر أقيت التنبكتي، ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م):

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق على عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م.

الإدريسى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م):

- المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، طبعة ليدن، بريل، ١٨٦٣.
- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، تحقيق روبيناتشى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢.

الإفراني (محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير، ت ١١٥٥هـ/١٧٤٢م):

- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، مكناس، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي، ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م):

- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق وتقديم عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٧.

البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز، ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م):

- المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.
- المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندرى فيرى، الدار العربية للكتاب، بيروت، ١٩٩٢.

ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي، ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م):

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

الحسن الوزان (الحسن بن محمد الوزان، ت ٩٦٠هـ/١٥٥٢م):

- وصف أفريقيا، ترجمه محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٣.

الحميري (محمد بن عبد المنعم الحميري، ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م):

- الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥م.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن أبي محمد بن الحسن، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م):

- العبر وديوان المبتدأ والخبر، طبعة بولاق، مصر، ١٨٦٧.

الخوارزمي (أبو جعفر محمد بن موسى، ت ٢٣٢هـ/٨٤٦م):

- صورة الأرض من جغرافية بطليموس في المدن والجبال والبحار والجزائر والأنهار، تحقيق هانس فون مزيك، دار بيبليون، لبنان، ٢٠٠٩.

الزهري (محمد بن أبي بكر الزهري، كان حيًا عام ٥٣٢هـ/١١٣٦م):

- كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن سعيد المغربي، ت ٦٧٣هـ/١٢٧٥م):

- بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان كرميظ خيديس، معهد مولاي الحسن، تطوان، ١٩٥٨.
- كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٠.

السعيدي (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعيدي، ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م):

- ملوك السودان أهل سنغي وقصصهم وأخبارهم وغزواتهم وذكر تنبكت ونشأتها ومن ملكها من الملوك، تحقيق هوداس وبنوا، مطبعة أنجي، باريس، ١٨٩٨.

العمري (شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيي، ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

- مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وآخرين، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي، ٢٠٠١.

أبو الفداء (إسماعيل بن علي بن محمود بن عمر الأيوبي، ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م):

- تقويم البلدان، نشره ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠.

القزويني (زكريا بن محمد بن محمود، ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م):

- آثار البلاد وأخبار العباد، تحرير وتعليق وتقديم حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٣.

ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا، ت٧٧٤هـ/١٣٧٣م):

- البداية والنهاية، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٩٨.

كعت (محمود كعت الأول، ت خلال الثلث الأول من القرن العاشر للهجرة، محمود كعت الثاني، ت١٠٠٢هـ/١٥٩٣م، محمود كعت الثالث، كان حيًا عام ١٠٧٦هـ/١٦٦٤م):

- تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، دراسة وتعليق آدم بمبا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠١٤.

مجهول (مؤلف مراكشي من أهل القرن ٦هـ/١٢م):

- كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشئون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، ١٩٨٣.

مجهول:

- تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، نشره هوداس، باريس، ١٩٦٦.

محمد بلو (ت ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م):

- إنفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور، تحقيق بهيجة الشاذلى، منشورات معهد الدراسات الأفريقية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٩٦م.

المسعودي (علي بن الحسين بن علي المسعودي، ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م):

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، طبعة ١٨٦٧.

المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي، ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م):

- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، حققه جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.

الهمذاني (أحمد لن محمد، المعروف بابن الفقيه، ت بعد ٢٩٠هـ/٩٠٢م):

- كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦.

ابن الوردي (عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس، ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م):

- خريدة العجائب وفريدة الغرائب، حققه أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٨.

ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م):

- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.

اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، ت ٢٨٤هـ/٩٨٢م):

- البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.

ثانيًا- المراجع العربية والمعربة:

إبراهيم أحمد العدوي:

- ابن بطوطة في العالم الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٤.

إبراهيم طرخان:

- إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠.

أحمد الشكري:

- مملكة غانة وعلاقاتها بالحركة المرابطية: هل حقًا قام المرابطون بغزو غانة، معهد الدراسات الأفريقية، الرباط، ١٩٩٧.
- الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩.
- الذاكرة الأفريقية في أفق التدوين إلى غاية القرن ١٨م (نموذج بلاد السودان)، منشورات معهد الدراسات الأفريقية، الرباط، ٢٠١٠.

بطل شعبان محمد غرياني:

- الحرب والمجتمع في السودان الغربي (٧٢٦-١٠٠٠هـ / ١٣٢٥-١٥٩١م)، قراءات أفريقية، سلسلة الرسائل الجامعية، الإصدار الرابع، ٢٠١٥.

بوفيل:

- تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة الهادي أبو لقمة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٨.

جبريل نياني:

- مالي والتوسع الثاني للماندانغ، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الرابع: أفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، اليونسكو، ١٩٨٨.

جميلة التكيتك:

- مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسكيا محمد الكبير ، منشورات مركز جهاد الليبيين، طرابلس، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

جوزيف كي زيربو:

- تاريخ أفريقيا السوداء، ترجمة عقيل الشيخ حسين، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، ٢٠٠١.

الحاج موسى أحمد كامرة:

- زهور البساتين في تاريخ السوادين مدونة شعوب غرب أفريقيا في التاريخ والأنساب والأنثروبولوجيا، تحقيق ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت،٢٠١٠.

حسن أحمد محمود:

- الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٩٨.

حسين مراد:

- الصلات بين المغرب والسودان الغربي (خلال القرن ٢-٦هـ/٨-١٢م) جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا ، الإسلام في أفريقيا ، ٢٠٠٦.

حماه الله ولد السالم:

- صحراء الملثمين وبلاد السودان في نصوص الجغرافيين والمؤرخين العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١.

حمد الجهيمي:

- دراسات في تاريخ مملكة غانا فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين (مرحلة انتشار الإسلام)، مجلس الثقافة العام، ليبيا، ٢٠٠٨.

دريد عبد القادر نوري:

- تاريخ الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء من القرن ٤-١٠هـ/١٠-١٦م ، الموصل، ١٩٨٥.

الشيخ الأمين عوض الله:

- العلاقات بين المغرب والسودان الغربى فى عهد السلطنتين الإسلاميتين مالى وصنغى، دار المجمع العلمى، جدة، ١٩٧٩.

عبد القادر زبادية:

- مملكة سنغاى فى عهد الأسيقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٠.

عصمت عبد اللطيف دندش:

- أضواء جديدة على المرابطين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١.

فاي منصور علي:

- أسكيا الحاج محمد وإحياء دولة السنغهاي (٨٨٩– ٩٣٥هـ/١٤٩٣– ١٥٢٩)، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٩٨٧م.

مادينا لي تال:

- تدهور إمبراطورية مالي، تاريخ أفريقيا العام، لبنان، اليونسكو، ط٢، ١٩٩٧.

محمد الغربي:

- بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢م.

محمد الفاسي وإيفان هربك:

- مراحل تطور الإسلام وانتشاره في أفريقيا، تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو ١٩٩٤.

مسعود عمر علي:

- تأثير الشمال الأفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي فيما بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ط١، ٢٠٠٣.

مهدي رزق الله أحمد:

- حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٩٩٨م.

نعيم قدّاح:

- إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مراجعة عمر الحكيم، مكتبة أطلس، دمشق، ١٩٦٠.

ثالثًا- المراجع الأجنبية:

Conrad, David:

- Sunjata A West African Epic of the Mande Peoples, Translated and Introduction by Conrad David, Hackett Publishing Company, USA, 2004.

Cuoq, Joseph:

- Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'Ouest, Geuthner, Paris, 1984.

Davidson. B:

- Old Africa Rediscovered, London, 1959.

Delafosse, Maurice:

- Haut-Sénégal-Niger (Soudan français), Larose, Paris, 1912.
- Les Noires de L' Afrique, Paris, 1941.

Djibo, Hama:

- L'Islam au Soudan Central (Histoire de l'Islam au Niger du Viie au xixe) Siecle, Harmattan publications, Paris, 2007.

Farias, Paulo Fernando De Moraes:

- Arabic medieval inscriptions from the republic of Mali: Epigraphy, chronicles and Songhay-Tuareg history, published for British Academy, Oxford University Press, 2003.

Hunwick, John:

- Timbuktu and the Songhay Empire Al- Sadis Tarikh Alsudan Down to 1613, Brill 2003.

Hodgkin,T:

- Islam and National Movement in West Africa, Conference on African History and Archaeology, London, 1961.

Levtzion, Nehmia:

- Ancient Ghana and Mali, Africana Publishing Company, New York, 1980.

Robert, Denise; Robert, S.; Devisse, Jean:

- Tegdaoust I: Researches sur Aoudaghost, Arts et Métiers Graphiques, Paris, 1970.

رابعًا- الدوريات العربية:

بطل شعبان محمد غرياني:

- دور اليهود في التجارة عبر الصحراء خلال العصر الإسلامي بين الادعاء والحقيقة التاريخية، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، كلية الآداب، جامعة كفر الشيخ، المجلد٢٨، العدد٣، يناير ٢٠٢٣.

حسين مراد:

- دولة أودغست الإسلامية من القرن الثاني إلى الخامس للهجرة/ القرن الثامن إلى الحادي عشر للميلاد، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد ٤٦، ٢٠٠٨.

سوزي أباظة:

- عائلة أقيت وإسهاماتها الثقافية في تنبكت، مجلة الدراسات الأفريقية، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، العدد٢٦، ٢٠٠٤.
- الحدادون في السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنغي (٦٢٨-١٠٠٠هـ/ ١٢٣٠-١٥٩١م)، مجلة الدراسات الأفريقية، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، العدد ٣٣، ٢٠١١.

صلاح بن محمد الحسيني:

- دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، مجلة كلية اللغة العربية بإتاي البارود، جامعة الأزهر، العدد ٣٥، الإصدار الثاني، أكتوبر ١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م.

محمد جاب الله علي:

- مدينة كومبي صالح ودورها الحضاري في ضوء تقارير الحفائر الآثارية من القرن الرابع حتى مطلع القرن السابع للهجرة، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، المجلد٦، العدد١١، أكتوبر ٢٠٢١.

محمد دوكوري:

- التزوير في مصادر تاريخ بلاد السودان: نبوءة في تاريخ الفتاش نموذجًا، دورية كان التاريخية، السنة١٣، العدد ٤٨، يونيو ٢٠٢٠.

محمود كامل عبد الكافي:

- بعض جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الأندلس من خلال كتاب الروض المعطار للحميري (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، المجلة التاريخية المصرية، تصدر عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، المجلد السادس والخمسون، ٢٠٢٢.

مطير سعد غيث:

- من مصادر تاريخ بلاد السودان الغربي: تاريخ الفتاش نموذجًا، مجلة جامعة الزيتونة، السنة الرابعة، العدد ١٥، ٢٠١٥.

هارون المهدي ميغا:

- من الذين يسمون محمود كعت ومن منهم مؤلف تاريخ الفتاش، مجلة قراءات أفريقية، العدد ٢٤، ٢٠١٥.

أبو وردة السعدني:

- سنغي الإسلامية من خلال "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس"، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، العدد١٤، ١٩٩٤.

خامسًا- الدوريات الأجنبية:

Alnaqar, Umar:

- Takrur the history of a name, The Journal of African History,Vol.10, No.3(1969).

Capel, Chloé; Zazzo, Antoine; Polet, Jean; Saliège, Jean-François:

- The end of a Hundred-Year-old archaeological riddle: first dating of the columns tomb of Kumbi Saleh (Mauritania) Radiocarbon, University of Arizona, 57, (1), 2015.

Constant, Hamès and Cuoq, Joseph:

- Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'Ouest, des origines à la fin du XVIe siècle, Archives de sciences sociales des religions, n°67/2, 1989.

Hunwick, John:

- A Region of the mind: medieval Arab views of African geography and Ethnography and their legacy, Sudanic Africa, No.16, (2005).

Levtzion, Nehmia:

- A Seventeenth-Century Chronicle by Ibn al-Mukhtār: A Critical Study of "Ta'rīkh al-fattāsh", Bulletin of the School of Oriental and African Studies. Vol.34, No.3, 1971.

Lovejoy, Paul. E:

- The Role of the Wangara in the Economic Transformation of the Central Sudan in the Fifteenth and Sixteenth Centuries, the Journal of African History, Vol. 19, No. 2, (1978).

Mauny, Raymond:

- The question of Ghana, Africa, Vol. 24, No.3, 1954.

Nobili, Mauro and Mathee, Mohamed Shahid:

- Towards a New Study of the So-Called Tārīkh al-Fattāsh, History in Africa, Volume 42, 2015.

سادسًا– الرسائل العلمية العربية:

محمد السنوسي العمراوي:

- نظام الحكم والإدارة بمملكة صنغي في عهد الأساكي ٨٩٨ – ١٠٠٠هـ/١٤٩٣– ١٥٩١م، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠١١.

نور الدين شعباني:

- دور عائلة كيتا في مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها الخارجية بين القرنين الخامس والتاسع الهجريين/الحادي عشر والخامس عشر الميلاديين، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر ٢، الجزائر، ٢٠١٣.